عبد المحسن علي أبو عبد الله

تعدد الزوجات

بين العلم والدين



تعدد الزوجات

بين العلم والدين

الطَبعَة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م



بيروت - بئر العبد - الصنوبرة - مقابل سنتر داغر - بناية دياب مهدي ط٢

تلفاكس: ٠١/٨٣٧٦٥٤
تلفون: ٠٣/٢٢٥٧٦٥
ص.ب: ٢٥/٩٧

Tel.Fax: 01/837654
Tel.: 03/225765
P.O.Box: 97/25

عبد المحسن علي أبو عبد الله

تعدد الزوجات

بين العلم والدين




بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل زوجة تعين زوجها على تقوى الله

وإلى كل من تحملن ما لا يحتمل، في سبيل إحياء شرع الله

﴿زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيلِ المُسَوَّمَةِ والأنعامِ والحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا والله عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئكُم بِخَيرٍ مِنْ ذَلِكُم للذينَ اتَّقَوا عِنْدَ رَبِّهِم، جنَّاتٌ تَجري مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ورِضْوَانٌ مِنَ الله، والله بَصِيرٌ بالعِبادِ﴾

سورة آل عمران ١٤ - ١٥

« مَا تَرَكْتُ بعدي فِتْنَةً أضرُّ على الرجالِ مِنَ النساء »

حديث شريف

انظر (مفتاح كنوز السنة)

ص٥٤٠

﴿وإنْ خِفْتُم ألا تُقْسِطُوا في اليَتَامى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ ، فإنْ خِفْتُمْ ألا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أو مَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُم، ذَلِكَ أدْنَى ألا تَعُولُوا﴾

سورة النساء ٣


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قبل أكثر من أربعين سنة كنا نقرأ في خطبة منسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) جمعت في كتيب أطلق عليه (خطبة البيان): « وترتفع أصوات الفجار يحبون الفساد والغناء والزنى، يتعاملون بالسحت والربا، ويغتار على العلماء، ويكثر ما بينهم سفك الدماء، قضاتهم يقبلون الرشوة، وتظهر دولة الصبيان في كل مكان، ويستحل الفتيان المغاني وشرب الخمر، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء » .

وبغض النظر عن مقدار صحة ما ورد في الخطبة، فمما لا شك فيه أنها دونت قبل مئات السنين، أي قبل النهضة الأوروبية الحديثة، وإذا صحت نسبتها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه ألقاها في مسجد الكوفة بعد وصوله إليها سنة ٣٦هـ - ٦٥٧م ، أي قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة ، يوم كان رجال أوربا التي تتشدق بالحرية والديمقراطية والتقدم والتحرر اليوم، يقفلون الجزء الوسطي من أجساد نسائهم بالأقفال الحديدية. وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على تخبط الإنسان وقصوره فيما يصنع لنفسه من قوانين، فيوماً يضع أقفالاً حديدية، ويوماً آخر يعرض الأجساد عارية.

وفي المقطع السابق عدة تنبؤات أصبحت اليوم حقائق بديهية لا تحتاج إلى برهان؛ فقد ارتفعت أصوات الغرب وأبواقه داعية إلى الفساد والزنى، وانتشرت البنوك الربوية، وانتشر سفك الدماء في كل مكان، وسيطرت دولة

الصبيان في كل مكان، وليس المقصود بالصبيان الأولاد الصغار، وإنما المقصود هو الجهلة من الحكام، وهذا هو الحاصل فعلاً في العصر الحديث..

وحتى عتاة دعاة الثورة الجنسية في الستينات لم يكن يخطر ببال أحد منهم أن تنتهي دعوتهم المشئومة أن تتزوج المرأة بالمرأة، ويتزوج الرجل بالرجل، تماما كما اخبر بذلك أمير المؤمنين(ع) قبل أكثر من ١٣٥٠ عاماً. وهذا ما وصل إليه فعلاً الغرب الموغل في القدم، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[1].

وهيئة الأمم المتحدة الموقرة تريد تعميم ذلك علينا رغم علمها بما يقاسيه الغرب من انحلال وتفسخ وفساد، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[2]؛ فهاهو محبوباني مندوب سنغافورة للأمم المتحدة يقول: « مرت الولايات بتجربة اجتماعية ضخمة، وحطمت المؤسسة الاجتماعية تلو الأخرى وهي المؤسسة التي قيدت الفرد، وكانت النتائج مشئومة، فمنذ عام ١٩٦٠ زاد تعداد السكان الأمريكي بنسبة ٤١٪ ، حين زادت نسبة الجريمة ٥٦٠٪ ، ونسبة الطلاق ٣٠٠٪ . وهذا انحلال اجتماعي شامل. ولكن بدلاً من السفر عبر البحار محملين بالأمانة، يدعو الأمريكيون وكلهم ثقة إلى فضائل الحرية الفردية غير المحدودة، ويتجاهلون بابتهاج العواقب الاجتماعية الواضحة »[3].

وهذه هي عين الحقيقة فهاهو عضو الكونجرس نيوت قنقريش يعترف

---

(١) سورة النساء ٢٧.

(٢) سورة البقرة ١٠٩.

(٣) مجلة الهلال المصرية عدد نوفمبر ١٩٩٣.

قائلاً: « نحن دولة ينجب أبناؤها وهم في سن الثانية عشرة، ويقتلون بعضهم البعض في سن الخامسة عشرة، ويصابون بالإيدز في سن السابعة عشر، وفي سن العشرين يحصلون على شهادة لا يستطيعون قراءتها »[1]. ومع ذلك يعقدون الندوات تلو الندوات والمؤتمرات تلو المؤتمرات ليفرضوا على الناس تلك الأفكار البالية والقوانين المدمرة.

وقد تُوِّجت تلك المؤتمرات بمؤتمر بكين الدولي في سبتمبر ١٩٩٥، وقد هدفت منه الدول الغربية فرض وجهة نظرها على العالم عن طريق هيمنتها على الأمم المتحدة؛ فقد أعربت كرستينا رئيسة الوفود الأوروبية « عن الرغبة الأوروبية في الاعتراف بالحرية الجنسية للمرأة »، وقالت: « إن الاتحاد الأوروبي سيؤيد بقوة أي اتفاق بشأن الحقوق الجنسية للمرأة »[2]. أما هيلاري زوجة الرئيس الأمريكي كلنتون فقالت: « إن منتقدي المؤتمر يحاولون منعه من تحقيق أهدافه »[3].

ومن حسن حظ البشرية، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بها، أن أوجد لذلك المؤتمر منتقدين وعلى رأسهم المسلمات اللواتي هن الهدف الأساسي لطعنات أمثال تلك المؤتمرات؛ لأنهن هن الكابح للبشرية من الانزلاق في طريق التحلل والإباحية والانفلات. « لذلك كانت هناك لغتان مختلفتان في أروقة المؤتمر، لغة وفود أوربا وأمريكا الشمالية، ولغة وفود الشرق وأمريكا اللاتينية والدول النامية. فالمرأة في الغرب تطالب بحق الارتباط الرسمي مع امرأة من جنسها والعيش معها تحت سقف واحد والتمتع بكل مزايا

---

(١) مجلة المجتمع، العدد ١١٤٩، في ١١/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٦/ ٩/ ١٩٩٥م.
(٢) الشرق الأوسط، العدد ٦١٢٦، في ١١/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٦/ ٩/ ١٩٩٥م.
(٣) الشرق الأوسط، العدد ٦١٢٥، في ١٠/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٥/ ٩/ ١٩٩٥م.

المتزوجين وحقوقهم »[1]. بينما المرأة في الدول المحافظة تطالب بحماية الأسرة ووقايتها من الانحراف وتعليمها وجعلها نواة صالحة في المجتمع.

عندما لاحت علامات انهيار الشيوعية، التي تلحد با لله وتنكر وجود الجنة والنار، وبدأ الناس يتراجعون عنها، ويعودون إلى دين ا لله أفواجاً، أدرك شياطين الجن والإنس أن الطريق ستؤدي بهم في النهاية إلى الإسلام؛ لأنه دين الفطرة التي فطر ا لله الناس عليها؛ ولهذا فكروا في طريق جديدة يميلون بالناس إليها. وهل هناك أحلى من الجنس؟ وآسر منه لأشداء الرجال؟ وقد قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله: « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[2]. إذاً فلتتخذ المرأة مطية، ولتتخذ هيئة الأمم المتحدة التي يسيطر عليها الغرب أداة.

وقد حددت مدة ٤٥ سنة لإشاعة الإباحية في جميع أنحاء العالم ابتداءً من مؤتمر نيروبي عام ١٩٧٥م الذي سمي « المؤتمر الدولي الأول للمرأة »[3]. ولكن آمال المخططين لذلك انتكست وأصيبوا بخيبة أمل كبيرة عندما لاحظوا ما سمي (بردة في عالم المرأة)[4]؛ فقد كانوا يتوقعون أن تندفع النساء اندفاعاً لأهدافهم المشبوهة حين أغروهن بشعارات (الحرية، والتنمية، والمساواة) ، ولكن الذي حدث كان غير متوقع، فمجموعات من النساء أنفسهن هن اللواتي عارضن تلك الأهداف وتصدين لها بكل قوة وشراسة،

---

(١) مجلة الجيل، عدد نوفمبر ١٩٩٥. وذكرت أن (١٠٩٥٩٣) امرأة اغتصبت في أمريكا عام ١٩٩١، فهل كانت هيلاري على علم بذلك؟!.

(٢) انظر كتاب (مفتاح كنوز السنة) ص٥٠٤، لـ د. أ. ي. فنسنك. ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي، منشورات دار القلم، الطبعة الثانية.

(٣) جريدة الاعتصام، في ١٠/ ٤/ ١٤١٥هـ - ٢٥/ ٩/ ١٩٩٤م.

(٤) اقرأ إن أحببت كتاب (صحوة في عالم المرأة) للدكتور عبدالحي الفرماوي.

ليس ذلك فحسب، بل إن أعدادهن آخذة في الازدياد.

ففي مؤتمر السكان في القاهرة تحفظت على الوثيقة النهائية ١٧ دولة فقط، بينما تحفظت ٤٣ دولة على وثيقة بكين[1]، والعدد آخذ في الازدياد. تقول إحدى المشاركات: « هناك ملاحظة لا تخطئها العين في بكين، وخصوصاً في منتدى المنظمات غير الحكومية، وهي كثافة الحضور الإسلامي ... لقد سبق لي حضور مؤتمر نيروبي قبل عشرين سنة، وأذكر أن الإيرانيات كن المحجبات الوحيدات، ولكننا في بكين لاحظنا انتشار الحجاب، بل وحتى النقاب الذي لا يكشف سوى عن العين.

أما بخصوص السيدات الغربيات العلمانيات فقالت: « لقد شعرن بنوع من القلق إزاء نقاشات المؤتمر، وساد إحساس بأن هناك نوعاً من العودة إلى الوراء »[2]. ولكن هن فقط اللواتي شعرن بالرعب والقلق، فالوفد الأمريكي « أكد تمسكه بـ (مكاسب المؤتمرات السابقة ... أما الاتحاد الأوروبي فقد حدد منذ اليوم الأول من أنه سيدافع عن الحقوق الجنسية للمرأة، وأنه لن يسمح بأي تراجع. وأعربت مونجيلا أمينة المؤتمر عن أملها في عدم التقهقر إلى الوراء »[3].

ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه « وسيسجل المؤتمر أن نساء الجنوب ربما كن أكثر واقعية وتفهماً من أخواتهن نساء الشمال ... لقد أوضحت النقاشات الطويلة والدراسات المعمقة أن لا خلاف في الواقع بين المرأة والرجل، وإنما الخلاف الكبير هو بين المرأة والمرأة ... ولم تخف هذه المرة أغلب النساء القادمات

---

(١) الشرق الأوسط، العدد ٦١٣٨، في ٢٣/ ٤/ ١٤١٦هـ - ١٨/ ٩/ ١٩٩٥م.

(٢) مجلة الجيل، عدد نوفمبر ١٩٩٥.

(٣) الشرق الأوسط، ٦١٢٨، في ١٢/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٨/ ٩/ ١٩٩٥م.

من العالم الثالث مرارتهن واشمئزازهن من تلك المعالجة المغشوشة لمشاكلهن، بل هن يعتقدن أن أخواتهن نساء الشمال ضحايات وسجينات لمفاهيم مادية وعبثية، الأمر الذي يجعلهن غير قادرات على فهم المرأة الأخرى أو التعاطف معها، بل من حاضنات أساسيات لثقافة السيطرة والأنانية »[1].

وهكذا أضحت طريق الحق واضحة جلية، وفي السنوات القليلة القادمة سوف تزداد الشقة بين نساء الجنوب ونساء الشمال، حتى يتضح تماماً من جاء بالتشريع الحكيم، ومن جاء بالتشريع العبثي؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

نعم إذا كان في إنقاذ العالم من التفسخ والانحلال والانهيار عودة إلى الوراء فلنعد إلى الوراء، وإذا كان نساء الشمال قد أوصلنا العالم إلى ما وصل إليه حيث انتشرت الدعارة في كل مكان، وحيث يقدر عدد المراهقات اللواتي يحملن كل عام بخمسة عشر مليون فتاة بينهن مليون فتاة في الولايات المتحدة، وحيث تجري في العالم سنوياً أربعين مليون عملية إجهاض، وتموت بسبب ذلك ٦٠ ألف امرأة، وحيث تغتصب امرأة كل ٣,٥ دقيقة، وتصاب بالإيدز امرأة كل دقيقتين »[3]، إذا كان نساء الشمال قد أوصلنا العالم إلى كل ذلك، فيا نساء الجنوب انقذن العالم من تلك المصائب التي وصل إليها.

فيا أيها الأخوات المؤمنات إن العالم كله يعود إلى الدين، يعود إلى القيم، يعود إلى المثل والأخلاق الفاضلة. « فبعد ثلاثين عاماً من التحرر الجنسي، عاد أنصار العفة في أمريكا ليرفعوا أصواتهم في وجه الضلال

---

(١) الشرق الأوسط، ٦١٢٩، في ١٤/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٩/ ٩/ ١٩٩٥م.

(٢) سورة الأنفال ٤٢.

(٣) الشرق الأوسط، المصدر السابق.

وشياطين الجنس، وازدهرت نوادي العذرية، وانتشرت بطاقات العفة، وقد كتب عليها « أتعهد أمام الله وأمام نفسي وأسرتي وأصدقائي وزوجي المقبل وأطفالي، بالمحافظة على طهارتي حتى يوم زواجي »[1]. وعلى صعيد التنفيذ العملي؛ هناك عودة إلى البيت، ففي بحث أجرته مؤسسة (أبحاث السوق) عام ١٩٩٠ عبرت ٥٦٪ من النساء الأمريكيات عن رغبتهن في العودة إلى البيت وتربية الأطفال[2]. وتقوم الآن ضجة في الغرب حول ضرورة فصل التعليم[3].

أيها الأخوات المسلمات، أيها الطاهرات الشريفات ما أحراكن بالاعتزاز بعقيدتكن والافتخار بدينكن، فقد أغناكن عن التجارب المريرة والحياة الضنكة، ويكفيكن فخراً بأنه سبق الآخرين لما اكتشفوا أنه الحق والعدل بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة، وكدليل واقعي ومباشر؛ فقد أمر الإسلام بالحجاب وقال إن فيه حماية للمرأة قبل أن يكون حماية للرجل، وهزأ الغرب المقدم وسخر ما شاء له الهزء والسخرية من الحجاب الإسلامي، وجاء الدليل من النرويج، وهل هنالك أكثر تقدماً من النرويج؟، ومع ذلك « ثارت ثائرة العديد من النساء احتجاجاً على وضع ملصقات في الشوارع لباميلا اندرسون. وقصدت المحتجات جماعات وأفراداً الجدران التي تعلوها الملصقات ومزقن صور باميلا.

وقالت قائدة المحتجات بنتي بجوردال: إن إظهار مفاتن باميلا بهذا الشكل يثير حنق الفتيات اللاتي لا يملكن مثل هذا القوام »[4]. والسؤال الآن: لماذا ثارت النساء تلك الثورة العارمة؟ لماذا مزقن آلاف الملصقات؟ لقد

---

(١) الشرق الأوسط، عدد ٢٦/٨/ ١٤١٥هـ – ٦/ ٢/ ١٩٩٤م.

(٢) مجلة الإصلاح، العدد ١٦٠، صفر ١٤١٢هـ – أغسطس ١٩٩٢م.

(٣) اقرأ إن شئت كتاب (الغرب يتراجع عن التعليم المختلط)، تأليف بفرلي شو، ترجمة وجيه عبدالرحمن.

(٤) الشرق الأوسط، عدد ٦٠٠٢، في ٦/ ١٢/ ١٤١٥هـ – ٥/ ٥/ ١٩٩٥م.

عللن ذلك بأنه حماية للمرأة. نعم إنه حماية للمرأة قبل أن يكون حماية للرجل، وهذا هو الهدف الرئيسي للحجاب الإسلامي؛ فليس كل امرأة تملك وجهاً جميلاً ولا قواماً ممشوقاً.

يا بنات الأوليات السابقات، إن العالم كله يعود إلى الدين، وإن هناك دوراً عظيماً ينتظركن بصفتكن معتنقات الدين الحق فلا يسبقكن إلى قيادة العالم غيركن، وليس هناك عائق عن قيادة العالم أشد من الجنس والهوى، فحصنّ أنفسكن، وحصنّ أخواتكن، وحصن أزواجكن، وحصن إخوانكن، وليس هناك مثل الزواج حصناً للمرأة والرجل، والمرأة العانس والأرملة والمطلقة ليس أمامها إلا الزواج برجل متزوج. فلماذا لا نحث على تعدد الزوجات؟ هذا ما سنناقشه على صفحات هذا الكتاب.

الاختيار بين الحق والباطل

من أخطر القضايا التي تواجهنا في هذا العصر، عصر النظريات والأفكار والمبتكرات، هو الانفصام في شخصيتنا المسلمة، فنحن أمام عدة طرق « ستفرق أمتي إلى بضعٍ وسبعين فرقة » ، وغالبية تلك الطرق تمثل الباطل؛ لأن الحق واحد، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتعدد. إذاً فنحن أمام طريقين:

١/ الحق

٢/ الباطل.

وما أكثر الباطل، فهو يركب عدة مراكب، منها الاستعمار والصهيونية والتبشير والتحرر وتحرير المرأة. أما الحق فهو يعني الخير والعدل والحرية والمساواة والالتزام، وبكلمة أشمل يعني « الإسلام » .

فالإسلام هو الحق وغيره باطل ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام ﴾[1]، ﴿ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرين﴾[2].

وللخروج من الانفصام الذي نعاني منه الأمرين، من الحيرة والقلق، والعذاب والإحراج يتوجب علينا منذ البداية أن نقرر هل نكون مع الحق؟ أو نكون مع الباطل؟ . والاجابة على هذا السؤال هي تقرير « هل نكون أوْ لا

---

(١) سورة آل عمران ١٩.

(٢) سورة آل عمران ٨٥.

نكون؟»، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾[1].. ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُم﴾[2].

وليت الناس يختارون طريقهم بوضوح، فإنهم لو فعلوا ذلك لما كانت هناك مشكلة، ولعرف كل إنسان سبيله ولكن هناك فئة ثالثة، تخشى الحق، ولا تمتنع من الباطل. وهؤلاء هم المنافقون الذين حذرنا الله منهم، ووصفهم بأنهم العدو فقال: ﴿هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهُم قَاتَلَهُم اللهُ أنّى يُؤْفَكُون﴾[3].

فهم في قرارة أنفسهم يخافون من الحق ويعلمون أنه الحق، ولكنهم تغريهم متع الباطل، ويتحسرون على فواتها؛ لذا فهم يوَدُّون لو يكون كل الناس مثلهم، لينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم الحق﴾[4]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾[5].

وأنا هنا لا أخاطب فئة الباطل ولا فئة المنافقين، وإنما أخاطب فئة المؤمنين، الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بكتابه، لئلا تنطلي عليهم أقوال المنافقين، وينخدعوا بأباطيلهم.

فنحن إذا أقررنا بـ«لا إله إلا الله» فمعنى هذا أننا صدقنا بالله، والتصديق بالله يستتبع التصديق برسوله الله (ص)، والتصديق برسول الله

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال ٤٦.

(٣) سورة المنافقون ٤.

(٤) سورة البقرة ١٠٩.

(٥) النساء ٨٩.

يستتبع التصديق بما جاء به رسول الله، والتصديق به يستتبع العمل بمقتضاه. كما قال الإمام علي(ع): « لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل »[1].

أما أنْ نقول أننا مسلمون « نشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ثم نعمل بآرائنا، فنقول: « إن الصلاة والصوم جاءا لتهذيب نفوس البدو فلا داعي لهما الآن لأننا في عصر العلم والتطور، والحرام والحلال جاءا في وقت كان فيه الناس لا يعرفون ما يضرهم وما لا ينفعهم، أما الآن فنحن نعرف تحليل[2] كل شيء ونعرف ما يضر وما ينفع، وباستطاعتنا الآن وضع القوانين التي تصلح كل من الرجل والمرأة، وهذا هو بيت القصيد.

المرأة –وما أدراك ما المرأة– يقول عنها المسلمون بالهوية: « لقد ظلمها الإسلام بحبسها في البيت فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[3]، وجعلها فقط وعاء للحمل والولادة والرضاعة، لا رأي لها، ولا صوت ولا مشورة، ولا عمل ولا أمل. يجب أن يتوقف هذا الظلم فوراً، وتكسر عنها الحواجز والقيود، وتعطي حقها في التحرر والانفلات والمساواة مع الرجل.

لم لا؟ أليست هي الأصل وهو الفرع؟ لماذا يفرض عليها الحجاب بحكم الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾[4] هل هي عيب نخجل أن يراه الآخرون، أو هي مرض معدٍ فتُنأى

(١) نهج البلاغة.

(٢) المقصود هو التحليل الكيميائي.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب ٥٩.

يجب حماية الناس من خطره »[1].

إذا صدر منا مثل هذا الكلام فهناك علامة استفهام حول صحة إسلامنا. إذ كيف ندعي بأننا مسلمون ثم نناقش ربنا في حرمة الخمر؟!. كيف ندعي بأننا مسلمون ونحن نقول بأن الصلاة شيء من الماضي، ومضيعة للوقت؟! بينما نحن نضيع عشرات الساعات منشغلين بالتلفاز أو اللهو. كيف ندعي بأننا مسلمون ونحن نرد على الله بأن الحجاب قيد على المرأة وإهانة لها؟ بل ونتعدى ذلك ونحلل ما حرم الله، فنصرح بأن الزنى شيء طبيعي بين الرجل والمرأة، ولا جرم فيه إذا كان الطرفان راضيين بذلك[2].

يا سبحان الله خالقنا يقول: ﴿ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[3]، ونحن نقول: لا جرم في ذلك، أيّ اجتراء على الله أعظم من هذا، ﴿لَقَدْ جِئْتُم شَيْئاً إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا﴾[4].

إذا كنا حقاً مسلمين فيجب أن نكون كإبراهيم الخليل عليه السلام؛ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾[5] فما يكون الأمر باجتناب الزنى مقابل ذبح الابن الشاب الوحيد، الذي ولد بعد طول انتظار.

---

(١) من رسالة وردت إلى ملحق الاتحاد الصادرة في ١/ ٤/ ١٤٠٦هـ. انظر كذلك كتاب « الإسلام في قفص الاتهام »، تأليف شوقي أبو خليل.

(٢) يذكر كتاب « المرأة بين الفقه والقانون » أن بعض الدول الإسلامية تبيح الزنى وتجعل الصدد في عداد المحرمات، ص١٠٤ وما بعدها. انظر كذلك كتاب « تيه العرب وتيه بني إسرائيل ».

(٣) سورة الإسراء ٣٢.

(٤) سورة مريم ٨٩ – ٩٠.

(٥) سورة البقرة ١٣١.

إن أحدنا لا يقبل أن يبيع ابنه بالملايين ولو كان عنده عشرة من الأبناء، حتى لو علم أن ابنه هذا سيعيش عيشة سعيدة مع من يشتريه. فكيف إذا كان هذا الابن الوحيد سيذبح، ومن الذي سيذبحه؟ سيذبحه أقرب الناس إليه وهو أبوه، إبراهيم الخليل(ع)، ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، هكذا يتجلى الإسلام الحق في كل من الأب والابن في الامتثال لأمر الله، وإخلاص العمل له.

إذا اعتقدنا بالله رباً وبمحمد (ص) نبياً وبالقرآن كتاباً وبالإسلام ديناً، فيجب أن نكون كذلك، وإذا كان من الصعب أن نكون كذلك، فعلى الأقل فيجب أن نمتثل أوامر الله السهلة، وتعاليمه السمحة، كما قال رسول الله (ص): « لقد بعثتُ بالحنيفيةِ السمحَة » . تلك الأوامر التي تهدف إلى سعادتنا والنواهي التي تهدف إلى إبعادنا عن الشقاء والتعاسة والتيه والضياع ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2].

أما إذا لم نلتزم بأبسط التعاليم، التي لا تكلفنا مغرما، وهي لنا مغنم، وإذا اتبعنا أهوائنا من متعة آنية، وشهوة طارئة، لا تفيدنا في دنيانا، وتضرنا في آخرتنا، كما قال الإمام علي عليه السلام: « ذهبتْ الشهوة، وبقيتْ التبعة » . إذا لم نلتزم ففي عقيدتنا خلل، وفي عقولنا خطل.

وبما أن قضية المرأة من أخطر القضايا التي تواجه مجتمعنا المسلم، وهي من أهم ما يتسبب في انفصام شخصيتنا. حيث أن الغريزة الجنسية من أقوى

---

(١) سورة الصافات ١٠٢.

(٢) سورة طه ١٢٤.

الغرائز عند الإنسان، ومن العسير كبح جماحها، ولهذا نلاحظ أن معظمنا ينهار أمام إغراء الجنس، رغم إيمانه العميق بالإسلام، ورغم صدق اعتناقه له، وبذلك يحدث التناقض، ومن هنا يأتي الانفصام في الشخصية المسلمة. فمن جهة هو مؤمن بالإسلام، ومن جهة أخرى يرتكب ما حرمه الإسلام. يقول الدكتور محمد بن علي الهرفي: « كان والد سلمى يمنعها من زيارة صديقاتها ويشعرها بضرورة رقابتها كي لا تخطئ ... بينما هو كذلك كانت ترى منه عجباً عندما يسافر إلى خارج البلاد .. كان ينقلب إلى شخص آخر في أقواله وأفعاله، فكان يرتكب كل المنكرات على مسمع منها ومشهد بدون حياء أو خجل »[1].

وربما انغمس الإنسان في بؤرة الانحراف، وران على قلبه، وقليلاً قليلاً يصل إلى نقطة اللا رجوع، فيقنط من رحمة الله، ويدخل في قلبه اليأس، فيعيث في الأرض فساداً.

ومعظم الناس ينحرفون عن طريق الجنس، فهناك أناس كثيرون يصمدون أمام إغراء المال، ويصمدون أمام إغراء الشراب، ولكنهم ينهارون أمام أول اختبار لإغراء الجنس؛ ولهذا قال الخبير الحكيم: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[2]. فقد عد النساء في أول مراتب الشهوات؛ وذلك لأنها تفوق سائرها في الخطورة والأهمية، فالمرأة أخطر مادة امتحانية في حياة الرجل على الإطلاق[3].

---

(١) رقصة الموت، ص ٦٢.

(٢) سورة آل عمران ١٤.

(٣) إلى كل فتاة تؤمن بالله.

وقد أوضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: « مَا تَركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ مِنَ النساء » وهذا ما نلاحظه في الوقت الحاضر.

والوريقات التالية دعوة للتخفيف من ضغط الجنس، فليس من المعقول أن نضغط اسطوانة أكثر مما تحتمل ونرجوا ألا تنفجر، وليس من العقل أن نقرب النار من البنزين ونتمنى ألا يشتعل، وليس من الفطانة أن نغلق مجاري النهر ثم نقرر بأنه لن يحيد، على غرار قصة:

ألقاهُ في الماءِ مكتوفاً، وقالَ: لـه:

إيـاكَ إيـاكَ أنْ تبتـلَّ بالمـاءِ!

ويناقش معظم الأفراد المشكلة من طرف واحد، هو جنس الرجال، ويتركون الطرف الأخطر والأهم في القضية وهو جنس النساء. ويفترضون في القضية بأنه لكل رجل امرأة. وهذا غير واقعي، فالملاحظ في جميع المخلوقات أن عدد الإناث أكثر من عدد الذكور[1]. وهذا ما يثبته الواقع بالنسبة لبني الإنسان، فحتى في الظروف العادية تثبت الإحصاءات أن عدد الإناث أكثر[2]، علماً بأن الرجال معرضون للقتل بنسبة أكبر من النساء. وهناك قضية أخرى في مجتمعنا الشرقي، هي أن الرجل يستطيع أن يتزوج أنى شاء، وبمن شاء –توجد معوقات بعض الأحيان– أما المرأة فيوجب عليها أن تنتظر حتى يطرق فارس الأحلام باب بيتها.

واعتقد: أولاً أن زيادة عدد الإناث على عدد الذكور. وثانياً أن الرجل

---

(١) محمد متولي الشعراوي، شبهات حول الإسلام والرد عليها، ص٧٦

(٢) في الإحصاء الذي أجري عام ٨٥ في الكويت بلغ عدد الذكور ٣٣٧,٠٤٣ مقابل ٣٤٢,٢٥٨.

هو الذي يطلب الأنثى، هما السببان الرئيسيان فيما نلاحظه على بعض فتياتنا من تبرج وسفور، مع العلم بأن هناك أسباباً أخرى تدعوهن للقيام بمثل ذلك، لأنهن يدخلن في منافسة غير لائقة مع بعضهن البعض للفوز بالزوج المجهول. فإذا كان الزواج شيئاً مهماً بالنسبة للرجل فإنه أهم بالنسبة للمرأة. وإذا كان الزواج يوفر للرجل الراحة والاستقرار، فإنه يوفر للمرأة كل شيء.

فالأمومة شيء أساسي فطري في حياة المرأة، يقول الكسيس كاريل: « يبدو أن النساء يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين ... إن هذه الوظيفة (الحمل والوضع) لازمة لاكتمال نمو المرأة »[1]. فالأمومة المحترمة لا تأتي إلا عن طريق الزواج الشرعي.

هذا بالإضافة إلى ما يوفره الزواج للفتاة من أمن وراحة واستقرار وطمأنينة وضمان للمستقبل. كل ذلك وأكثر يدعو فتياتنا للمنافسة. والمنافسة تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، أقله التبرج والسفور والتنزه في الأسواق، واستعراض آخر موديلات الأزياء. كل ذلك وأكثر يغري الشباب بالاجتراء على الفتيات ومضايقتهن وإيذائهن، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[2].

فكم يحز في نفسي عندما أسمع فتىً يخاطب فتاة، وكم أتألم عندما أرى شاباً يضايق شابة، وكم يتملكني الأسى عندما أسمع عن حوادث الجنس، وكم أتحسر عندما أقرأ عن مشاكل الجنس، هذا وما خفي أعظم، وربما اعتدى أحدهم على نفس جنسه.

---

(١) الإنسان ذلك المجهول، ص١١٠، تعريب شفيق أسعد فريد.

(٢) سورة الأحزاب ٥٩.

وأتساءل ألم يضع الإسلام حلاً لهذه المعضلة؟. وحاشا الدين الكامل أن يهمل هذه الفتنة، فقد ورد عن الإمام علي(ع) أنه قال: « سمعتُ رسولَ الله (ص) يقول: ألا إنها ستكون فتن. فقلت ما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم »[1].

فليس من المعقول أن نفتح باب الفاحشة على مصراعيه ثم نجلد أو نرجم من يرتكب جريمة الزنى، وليس من الحكمة أن يصبح بعض الناس في فقر مدقع، وبعضهم في ترف فاحش ثم نحكم من سرق قطعنا يده؟[2]. وحاشا الإسلام أن يقرر ذلك فهو من صنع العزيز الحكيم ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلقه ثُمَّ هَدَى﴾[3]، فقد وضع الإسلام لكل مشكلة حلاً، ولكل معضلة مخرجاً ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4].

ولكن الخلل فينا نحن، فنحن الذين نرفض الحل الإسلامي و نلهث وراء الحلول المستوردة، وطبيعي أن تقودنا تلك الحلول إلى متابعة من استوردناها منهم، وصدقت سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وآلك «لَتَتْبَعُنَّ سَنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »[5].

وربما قال قائل: « نحن لا نرفض الحل الإسلامي » . فأقول نعم. كلنا يقول ذلك نظرياً، ونرفضه عملياً. هل يرضى أحدنا أن يزوج ابنته من فقير؟! هل يقبل مهراً متواضعا؟! ، أم المهور قضية؟! هل يرضى أحدنا بذات الدين

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) أفتى الخليفة عمر(رض) في سنة المجاعة بعدم قطع يد السارق.

(٣) سورة طه ٥٠.

(٤) سور الإسراء ٩

(٥) كتاب (مفتاح كنوز السنة) ص٢٨٦.

متواضعة الجمال؟ أم إنه يبحث عن المال والجمال قبل كل شي؟! بينما رسول الله (ص) يقول: « فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

هل ترضى الشابة الزواج بالكهل، أم ترفض متذرعة بفارق السن؟ هل توافق الطالبة على الزواج أم تتذرع بإكمال تعليمها الجامعي ... ثم ماذا؟ هل توافق الجامعية بالاقتران من الشخص العادي؟ أم تعتذر للفارق التعليمي بينهما، وحتى إذا وافقت فهل يوافق هو أم يخشى أن تذيقه ألواناً من المذلة، وتريه صنوفاً من الاستعلاء؟[1]. هل ترضى المرأة التعدد أم تحاربه حتى ولو بقيت أختها عانساً طوال عمرها؟.

إذا كنا حقاً مسلمين، فيجب علينا أن نطبق الحل الإسلامي على أنفسنا، سواءاً كرهنا ذلك الحل أم وافق هوىً من أنفسنا، ﴿وعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وهوَ خيرٌ لَكُم﴾[2]، أما أن نصوغ حلولاً من عند أنفسنا فذلك ليس من الإسلام في شيء.

يجب أن نأخذ الحل الإسلامي بغض النظر عما يقوله الآخرون، دعهم يتهموننا بالتخلف والرجعية، دعهم يتهموننا بالشهوانية والهمجية[3]. يكفينا فخراً بأننا نتبع شرعاً سماوياً جاء به البشير النذير، من عند الخبير الحكيم. البشير الذي يبشر من اتبع سنته بالسعادة في الدنيا والآخرة، النذير الذي ينذر الناس من الشقاء، في الدارين، الدنيا والآخرة. في الدنيا كما هو واقع

---

(١) هذا ما قالته إحداهن في استطلاع لجريدة اليمامة، العدد ٨٣٧. وهذا ما يفسر ارتفاع نسبة الطلاق.

(٢) سورة البقرة ٢١٦.

(٣) طالع إن شئت: الإسلام في قفص الاتهام، المرأة بين الفقه والقانون، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، شبهات حول الإسلام والرد عليها.

كل يوم[1]، من القلق والضياع والتخبط، وفي الآخرة عذاب النار.

الخبير الذي هو أخبر بعباده من أنفسهم، بما ينفعهم وما يضرهم في أنفسهم وفي اجتماعهم، بالنسبة لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. الحكيم الذي لا يشرع شيئاً إلا لحكمة بالغة، تعجز عن إدراكها عقول البشر[2].

يكفينا فخراً بأننا نتبع شرعاً سماوياً، ويكفيهم ذلاً بأنهم يتبعون تشريعاً وضعياً. أما أن نحور الحل الإسلامي، ليوافق الحل الوضعي فهذا مالا يرضاه الله ورسوله، وقد نحى كثير من الكتاب والعلماء هذا المنحى، في محاولة منهم للتوفيق بين الحل الإسلامي والحلول المستوردة من الشرق والغرب. حتى أن عالماً كالشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا يقولان: إن المقصود بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾[3] هي الحقيقة الإنسانية الواحدة، وليس المقصود آدم أبا البشر عليه السلام. وما ذلك إلا لكي توافق الحقيقة الإسلامية نظرية النشوء والارتقاء لدارون، والتي تقول إن كل المخلوقات بدأت من أميبا ذات خلية واحدة، وقد ثبت علمياً بطلان تلك النظرية[4].

---

(١) رغم تقدم العلم تفتك بالبشرية أمراض غريبة آخرها الإيدز، هذا فضلاً عن فقدان الأمن والإرهاب والحروب. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أعرضَ عنْ ذكري فإنَّ لَهُ معيشةً ضنكا﴾.

(٢) كدليل على ذلك الطلاق، فقد كان الغرب يطعن في الطلاق الإسلامي، حتى أن بعض الحركات النسائية طالبت بإلغائه. وأخيرا أباح الغرب الطلاق، ولكنه لا زال يتخبط فيه، رغم ما حشد له من القانونيين والمشرعين والعلماء والمفكرين. اقرأ إن شئت «حقوق الزوجين» لأبي الأعلى المودودي ملحق رقم ٢.

(٣) سورة النساء ١.

(٤) قضايا المرأة في سورة النساء للدكتور محمد يوسف عبد، نقلا عن تفسير المنار، ج٤، ص٣٢٣.

والأمثلة على ذلك كثيرة. حتى قال بعضهم بأن الإسلام اشتراكي؛ لأنه يأخذ من النظرية الاشتراكية، وقال آخر بأن الإسلام رأسمالي؛ لأنه يأخذ من النظرية الرأسمالية. والحقيقة أن كل من الرأسمالية والاشتراكية هما اللتين أخذتا من الإسلام؛ لأن الإسلام وضعت قوانينه وشرعت تشريعاته قبل أن تعرف الدنيا القوانين والنظريات.

وأخطر ما حاولنا تحوير قوانين الإسلام فيه هو قضية المرأة، وذلك لأن الغرب يعرف مدى ضعفنا في هذه الناحية وذلك للأسباب الآتية:

١ـ الخجل بما عندنا، والخيلاء بما عند الغير.
٢ـ تميز المرأة بالعاطفة الجياشة، والاندفاع بدون تروٍ .
٣ـ للمرأة تأثير قوي على الرجل.
٤ـ حب الناس للجنس والشهوات.
٥ـ إدراك معنى قوله صلى الله عليه وآله: « ما تركت بعدي من فتنة أضر على الرجال من النساء » [1].

وقد استغل الغرب نقط الضعف هذه أبشع استغلال، لنقض عرى الإسلام، وتخريبه من الداخل. يقول (جب) وهو من كبار المبشرين: « إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني، لقد شعرت دائماً أن مستقبل سوريا إنما هو بتعليم بناتها ونسائها » . وتقول المبشرة آنا ميليغان: « في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة » .

ويعلق الدكتور يوسف العظم على ذلك قائلاً: « ومن الثمرات التي

---

(١) مفتاح كنوز السنة، مصدر سابق.

يقطفها المبشرون اليوم من مثل هذه المدارس والكليات الفصص تتجرعها الأمة متمثلة في نوادٍ وجمعيات ومؤسسات تنشئها خريجات هذه المدارس في كل عاصمة عربية »[1].

وأضيف، وكان من نتائج تلك النوادي والجمعيات والمؤسسات المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في عام ١٩٤٤ بدعوة من الاتحاد النسائي المصري وحضرته مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة واتخذت فيه القرارات المعتادة وهي:

أولاً: تقييد الطلاق.
ثانياً: منع الزواج بأكثر من واحدة.
ثالثاً: المساواة التامة بين المرأة والرجل.
رابعاً: حذف نون النسوة.

وقد رحبت بذلك زوجة الرئيس الأمريكي روزفلت، وهي يهودية لعبت دوراً حيثاً في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد أبرقت للمؤتمر النسائي في ١٧ ديسمبر ١٩٤٤ قائلة: « والواقع أن نفوذ النساء يتعاظم ويزداد قوة في مختلف أنحاء العالم. وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في باقي بلدان العالم أملاً في نشر التفاهم والسلم في المستقبل »[2]. وقد علقت جريدة اليوم في عددها ٤٦٦٩ بعد أن نقلت ذلك عن مجلة الأمة قائلة: « فهل كانت –مز روزفلت– تريد لنا الخير في برقيتها؟ أم كانت تريد دفعنا إلى جحيم الدنيا والآخرة؟! »

---

(١) أين محاضن الجيل المسلم، ص١٥، نقلاً عن كتاب التبشير والاستعمار. وانظر أيضاً لكي لا تتحطم حصون الإسلام من الداخل، والمرأة المسلمة أمام التحديات.
(٢) الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، ص٧١ وما بعدها.

لهذا الحد وصل الحال بنسائنا العربيات التقدميات، إلى حد أنهن –أنهم– أصبحن يخجلن من كونهن نساء، فقررن حذف نون النسوة من اللغة العربية، ربما كان هذا هو السبب، وربما هو التقليد الأعمى للغرب، وربما كان هذا وربما كان ذاك ولكنه بكل تأكيد يدل على ضعف الإيمان بالله، وعدم الثقة فيما عنده، وعدم الرضى بما قسم الله، حيث ﴿أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثَى، مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾[1].

(١) سورة النجم ٤٥ – ٤٦.



الاعتقادان الخاطئان

هنالك اعتقادان خاطئان يعتقدهما كثير من الناس، وهذان الاعتقادان في غاية الخطورة في تحطيم القانون الإسلامي، ونشر الفساد في المجتمع المسلم، وتدمير الأسرة المسلمة.

والاعتقادان يستمدان خطورتهما من خطورة المرأة وقيمتها في المجتمع؛ فإن المرأة إذا فسدت فسد المجتمع، وإذا صلحت أخرج المجتمع رجالاً ومفكرين، وقادة ومصلحين. وبهؤلاء جميعاً يرقى المجتمع الإسلامي ويتقدم، ويأخذ مكانته اللائقة به في قيادة الأمم، والأصل هي المرأة الصالحة، المؤمنة بالله، المتبعة شرع الله، الراضية بما قسم الله.

إذاً الاعتقادان متعلقان بالمرأة، وليس شيء يتعلق بالمرأة أثيرت حوله الشكوك والشبهات، وحورب حرباً لا هوادة فيها -وإن كانت معظم تشريعات الإسلام، وخاصة الخاصة بالمرأة قد أثيرت حولها الشبهات وحوربت- ليس شيء حورب كما حورب تعدد الزوجات الإسلامي.

والاعتقادان الخاطئان هما:

١- الاعتقاد باستحالة العدل بين الزوجات.

٢- الاعتقاد بكراهية الزوجة الأولى.

فالاعتقاد الأول ناشئ من ربط الآية رقم ٣ من سورة النساء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ بالآية رقم ١٢٩ من السورة نفسها: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾.

ثم تفسير القرآن تفسيراً مزاجياً، وهو ما حذر منه رسول الله (ص) بقوله: « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » . ذلك التفسير يقول: إن الإسلام أباح التعدد بشرط العدل، وقيده بذلك الشرط، ثم أوضح أن العدل مستحيل، وبما أن التعدد مرتبط بالعدل، والعدل مستحيل، إذاً التعدد مستحيل، وبالتالي ليس هناك في الإسلام تعدد.

وهذا حكم مضاد لحكم الله، والعياذ بالله، لأن ذلك الحكم فيه مغالطة للقرآن وللسنة وللتاريخ وللواقع.

أما المغالطة للقرآن فحاشا الله سبحانه وتعالى اللغو والعبث، فهو عندما يبيح التعدد ويجعله الأصل في استحباب الزواج إذا لم تخشى الفتنة، وذلك لأنه بدأ بقوله: ﴿فانكحوا ... مثنى وثلاث ورباع﴾ ، ويجعل الاقتصار على واحدة هو الاستثناء، حيث أكمل الآية بقوله: ﴿فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة﴾. ثم يعود –حسب قول المعارضين– ويقول: لا تعددوا لأنكم لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء. فعلى هذا الزعم تكون الآية الأولى لا داعي لها، فكان المفروض أن يحرم التعدد مباشرة، لا أن يبيحه ثم يقيده بشرط مستحيل التنفيذ.

أما مغالطة السنة، فالرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قمة القدوة للمسلمين جميعاً، وهو (ص) لا يفعل مكروهاً ولا يترك نافلة. ولا يستطيع حتى عتاة المعارضين نفي تعدده

وربما قال قائل: إن للرسول (ص) مزايا ليست لغيره من المسلمين، وربما كان تعدد زوجاته واحداً من تلك المزايا!

فأولاً: خصوصية الرسول (ص) هي في الزيادة على أربع لا في الزيادة على واحدة بإجماع المسلمين[1].

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، ص١٠٦.

ثانياً: وهي المغالطة التاريخية، فالصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم بسنة نبيهم من غيرهم، وقد كانوا يتخذونه قدوة لهم في كل شيء.

وقد عدد كثير منهم، فيروى أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قد تزوج ست زوجات[1]. والإمام علي تزوج تسع زوجات[2]. وتزوج الصحابي طلحة بن عبيد الله ست زوجات[3]، وكثير غيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، ليس هنا مجال ذكرهم.

وكيف لا يفعلون ذلك وقد عدد صلى الله عليه وآله وسلم وهو قدوتهم وأسوتهم، ومن المعروف أن النبي (ص) لا يفعل مكروهاً ولا يترك مستحباً. بل هو القمة في الدين، ودائماً يأخذ بما هو الأفضل فيه.

إذاً في الإسلام التعدد هو الأفضل، وهذا فعله (ص) لأنه لا يفعل دائماً إلا الأفضل، هذا بالإضافة إلى الحكم البالغة من زواجه من إمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهكذا فعل أئمة المسلمين وقادتهم رضوان الله عليهم.

أما مغالطة الواقع، أفلست أنت معي أن الإسلام قد وضع لكل مشكلة حلاً؟ كلنا يقول بهذا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4]، وكذلك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[5].

---

(١) زعماء الإسلام، د. حسن إبراهيم حسن، ص٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٩.

(٤) سورة الإسراء ٩.

(٥) سورة النحل ٨٩.

ولكن أليست هناك مشكلة العنوسة؟ ، لا أظنك تنكر هذا، فهي أوضح من الشمس في رابعة النهار، وهاهي بيوتنا وصحفنا ومجلاتنا[1] شاهدة على ذلك .

أليس هذا هو الواقع المعاش؟!.

فإذا قلت: إن الإسلام قد اشترط في التعدد العدل ثم قرر بأن العدل مستحيل، وبذلك يكون التعدد محرم. إذاً ما هو الحل لمشكلة مئات المطلقات اللاتي ازدادت نسبتهن في الآونة الأخيرة؟[2]. ما هو الحل لمعضلة زيادة النساء على الرجال حتى بسبب الزيادة الطبيعية التي أحكمها الله سبحانه وتعالى ليطبق قانونه رغماً عني وعنك، وغصباً عن المرأة وجمعياتها، ورغماً عن كل معاند، والله عزيز حكيم.

هذا فضلاً عن الزيادة الناتجة عن الحوادث، وكذلك الزيادة الناتجة عن الحروب وحدث عنها ولا حرج في العصر الحديث.

ربما ذكرت لي ألف سبيل وسبيل لحل مشكلة الزيادة كعقم الزوجة أو مرضها، ولكنك لن تستطيع أبداً الإتيان على زيادة النساء على

---

(١) ناقشت الموضوع كل من جريدة اليوم وعكاظ والجزيرة السعوديات، والسياسة الكويتية، والاتحاد الإماراتية، ومن المجلات مجلة المجلة والمسلمون واليمامة والشرق السعوديات، وأسرتي والنهضة الكويتيتان، وزهرة الخليج الإماراتية، وسيأتي الاستشهاد بها.

(٢) أوردت مجلة زهرة الخليج في عددها رقم ٣٦٢ بتاريخ ١/ ٣/ ٨٦م الحقائق المؤسفة التالية: في أمارة رأس الخيمة فقط من الإمارات العربية المتحدة بين عامي ٨٤ – ١٩٨٥ زادت المطلقات بنسبة ١٤٪ والعوانس ٢٥٪ والمهجورات ٥٠٪. والغريب أن هذا جاء في ص٢٢، وفي ص ١٩ ناقشت المجلة مشروع حماية المرأة العربية وجاء فيه: « إن الرجل لا يعقد على زوجة أخرى إلا بإذن القاضي .. وعلم الزوجة الأولى » .

الرجال[1]. وهل المرض والعقم مقصور على المرأة. إن المرض والعقم ليسا خاصين بالمرأة، فالرجل معرض للمرض والعقم.

هذا فضلاً عن أن الرجال معرضون للإعاقة والموت بصورة أكبر من النساء؛ لذلك ليس أمامنا من حل إلا الحل الذي وضعه العزيز الحكيم، ألا وهو تعدد الزوجات بدون مراوغة ولا مداراة ولا محاولة استرضاء أحد.

والاعتقاد الثاني هو أن الرجل ما تزوج على زوجته إلا لأنه يكرهها. وهذا الاعتقاد بسبب خطئه يشارك في محاربة الإسلام، وهو اعتقاد خطير لتأثيراته السلبية على المجتمع فهو:

١/ يشعر الزوجة بأن زوجها يكرهها ولو كانت تلاحظ عكس ذلك.

٢/ يقيد الرجل في الزواج، حتى لو كان هناك سبب شرعي يدعوه إلى الزواج.

وللمجتمع دور كبير في هذه الناحية، فهو يظهر المرأة التي تزوج عليها زوجها وكأنها ناقصة؛ لأنها لم تستطع أن تجعله يحبها إلى درجة الهيام، وبالتالي يصبح خاتماً في إصبعها.

وهذا ما نلاحظ في المجلات النسائية حيث لا يخلو عدد منها في باب « مشاكل وحلول » من إحداهن تشكو من أن زوجها قد تزوج عليها أو يفكر في الزواج عليها. فيأتيها الجواب المعد سلفاً « إنك أنت السبب، حيث لم تحاولي أن تكسبي ثقة زوجك، وتجعليه يحبك، ويبوح لك بأسراره، ويطلعك

---

(١) يذكر مؤلف كتاب « قولي في المرأة » الشيخ مصطفى صبري قوله: « في استطاعتي إثبات زيادة النساء على الرجال بوجود نساء في كل بلدة يمشين بيع أعراضهن » .

على مكنونات نفسه ... » أ.هـ، وكأن الرجل يريد أن يتزوج رجلاً آخر وليست امرأة لها نفس الإحساسات والمشاعر والحقوق التي للمرأة الأولى.

إن النساء في معظم الأحوال هن اللاتي يسببن المشاكل لبعضهن البعض، ولو التزمت كل واحدة حدودها لما حدثت أي مشاكل، ولو خطين خطوة أخرى لمنعن هن أنفسهن المشاكل.

فبدلاً من أن تحاول كل منهما أن تجر الزوج إلى صفها وتختلق في سبيل ذلك الأقاويل، وتصنع المكائد لكي تشوه صورة الزوجة الأخرى، بدلاً من ذلك لماذا لا تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر إذا رأت منه ميلاً إليها؟ ، لماذا لا تنبهه إلى ذلك؟ بدلاً من أن تطلب منه أن يطلق الأخرى.

يذكر أحد الأصدقاء أنه دخل على زوجته الثانية صبيحة يوم زواجهما فوجدها تبكي، وعندما سألها عن سبب بكائها، قالت: « هل صحيح أني أخذتك من زوجتك الأولى وشتت أولادك؟ » فقال: « من قال لك هذا؟ » فقالت: « إن النساء يقلن ذلك، ولكني لن أدع ذلك يحصل » . يقول: « فكفكفت دموعها ووعدتها بأن أكون عادلاً ».

إن الإنسان بطبعه يكره الشخص الذي يسبب له الإيذاء، ويبعد عنه. وهذا هو سبب كراهية الرجل لزوجته الأولى أو الثانية، وإلا فلماذا يكره رجل امرأته؟ . والزواج عليها ليس دليلاً على أنه يكرهها بل ربما يكون دليلاً على حبها أو على حب بنات جنسها.

فالرجل الذي تكون زوجته عاقراً هل من الحب أن يرمي بها إلى الشارع ويتزوج غيرها، أم يبقيها على ذمته ويتزوج عليها؟ ، وهل من مصلحتها أن تؤذي زوجها وتثير المشاكل مع الزوجة الثانية، وبالتالي تعطي سبباً لكراهيتها، أم من مصلحتها أن تكون أختاً للزوجة الجديدة، وبالتالي تكون أماً لأولادها، وبصبرها

واحتسابها ورضاها بما قسم الله لها يعوضها الله خيراً مما أخذ منها.

في قريتنا مكثت امرأة مع زوجها تسع سنوات ولم ينجبا، فطلبت منه هي –هي التي طلبت– أن يتزوج عليها، وبناءاً على طلبها تزوج، وبعد مضي سنة أنجبت الزوجة الثانية مولودها الأول، وفي السنة الثانية أنجبت مولودها الثاني، فطلبت منها الزوجة الأولى أن تعطيها الابن الأول لكي تعتني به، فأعطتها إياه، وهو الآن متعلق بخالته –زوجة أبيه– ويدعوها بأمه أكثر مما هو متعلق بأمه الحقيقية.

هذا دليل على حب الرجل لزوجته التي تزوج عليها إن كانت عاقراً أو مريضة. أما عن حبه بنات جنسها، أفليس من الحب أنه إذا سمع بأن إحدى قريباته قد شارفت الأربعين ولم تتزوج فاتخذها زوجة له ثانية، ستراً لها وتخفيفاً عنها من الآلام التي الله وحده يعلمها؟ . أفليس من الحب إذا ضم إليه كزوجة ثانية مطلقة، الله وحده يعلم كم تلوكها ألسنة الفارغين؟.

إن الرجل لا يكره المرأة ولكن المرأة هي التي تجبر الرجل على أن يكرهها أو يكره أختها، وتكون دائماً هي الضحية، وهي المتضرر الأكبر؛ لأن السوء دائماً يعود إلى صاحبه.

في الحياة هناك طريقان، طريق المحبة وطريق الكراهية، ولكل فعل رد فعل. فإذا عاملتني بالمحبة عاملتك بالإخلاص والمحبة. أما إذا عاملتني بالكراهية، فسوف أعاملك بالحقد والكراهية. وقد أثبت سبحانه وتعالى هذه الحقيقة إذ يقول: ﴿ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ، ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فإذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة فصلت ٣٤.

يجب أن تفهم الزوجة الأولى، ويجب أن يفهم المجتمع بأن الرجل لم يتزوج عليها لأنه يكرهها أو يريد إهانتها وإغاضتها أو لأنها ناقصة كما تحاول المجلات النسائية القدمية أن تشيع. كل ما في الأمر أن الرجل مارس حقه الطبيعي المشروع، وغالباً لا يتزوج الرجل بثانية إلا لسبب مشروع، وإلا فالخليلات كثيرات.

وإذا كان الزواج بثانية يسبب ضرراً بسيطاً للزوجة الأولى، فإنه لا يسبب خيراً كثيراً للزوجة الثانية فحسب بل يسبب خيراً كثيراً للزوجة الثانية ولأهلها ولبنات جنسها وللمجتمع حيث أقام لبنة جديدة فيه.



اختر أنّى شئت

لنفترض أن هناك مدرسين، أحدهما يعطي حلولاً مختلفة لمشكلة معينة، والآخر لا يعطي إلا حلاً واحداً لنفس تلك المشكلة، فأي المدرسين أفضل؟

لاشك في أن الذي يعطي حلولاً مختلفة ويترك لنا حرية الاختيار أفضل من صاحبه، وأقدر على إيجاد الحل المناسب.

وبالمثل لنفترض أن نظامين أحدهما يبيح التعدد والآخر يحرمه، فأي النظامين أفضل؟

إن كل من في رأسه عقل سوف يفضل النظام الأول على النظام الثاني؛ لأن النظام الأول لا يلزم الناس بالتعدد بل يتركه باباً مفتوحاً لمن تلجئه الضرورة إليه. أما النظام الثاني فإنه يوصد ذلك الباب، وبذلك تنفتح أبواب للشر كثيرة؛ لأن الناس إذا لم يجدوا طريقاً واضحاً يسلكونه فكر كل فرد منهم في طريق منحرف يسلكه بمفرده. ولو لم يكن من حسنات التعدد إلا هذا لكفى.

وقد حاول خصوم التعدد، أنصار الإباحية إثارة الشكوك، وإقامة الشبهات حول موضوع التعدد، وحاولوا إيجاد أسباب لمحاربته، فلم يعثروا إلا على أسباب واهية لا تثبت أمام الواقع المعاش، وحتى وإن وجدت لها قيمة فهي لا تساوي شيئاً أمام الأسباب الكثيرة والضرورية التي تدعو للأخذ بمبدأ التعدد.

إن السبب الرئيسي الذي يتشبث به خصوم التعدد هو حدوث

المشاكل بين الزوجين وبين كل منهما والزوج. وبالتالي الكيد لبعضهما البعض من جهة والكيد للزوج من جهة أخرى، وما ينتج عن ذلك من تنافر بين الأخوان.

إننا عندما نأخذ بنظام تعدد الزوجات فإننا نأخذ بنظام إسلامي، وبالتالي يوجب علينا أن نتبع نظام الإسلام وتعليماته في هذا الخصوص. فالإسلام يشترط العدل بين الزوجات، وألا يميل الرجل إلى إحدى زوجاته، وكذلك يدعو الإسلام إلى الإخلاص والمحبة والتسامح والتعاون. وقد ورد في الأثر: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وهكذا يجب أن يكون عدل من جانب الزوج ومحبة وتعاون وتسامح من جانب الزوجات، وبذلك تنتفي بقية المشاكل ويعيش الجميع في صفو وهناء.

وإلا فإنه حتى في البيت ذي الزوجة الواحدة تحدث مشاكل قد تصل إلى الطلاق. وكم سمعنا عن إخوان من أم واحدة وصل بهم الشجار إلى حد الاقتتال، وبالتالي إلى قاعات المحاكم، رغم كونهم من أم واحدة وأب واحد.

إن هيامنا بالمادة، وبعدنا عن الدين، بعدنا عن الإيثار والتضحية هو الذي جر علينا هذه المشاكل، وخلق لنا أوضاعاً لم تكن موجودة من قبل، منها ارتفاع نسبة الطلاق وزيادة عدد العانسات.

ثم لنتصور أن الزوجة الأولى والتي غالباً ما ترفض أن يتزوج عليها زوجها وتخلق له المشاكل من أجل ذلك، لنتصور أنها بلغت الخامسة والثلاثين، ففي مثل هذه الحالة لن يتقدم لها شاب لم يسبق له الزواج، فإذا رفضت كل متزوجة أن يأخذها زوجها كزوجة ثانية فماذا سيكون مصيرها.

أليس من حقها أن تصبح ربة بيت كباقي النساء. ورغم أهمية كينونتها ربة بيت كباقي النساء فهي لا تساوي شيئاً بالنسبة لحقها في أن

تصبح أماً، تروي غريزة الأمومة عندها، وتشعر بدفقها وحنانها.

إن غريزة حب البقاء شيء لا يقاوم، وغريزة الأمومة تستمد قوتها من غريزة حب البقاء؛ لذلك يحق للعانسات أن يتخذن قياساً على قول أبي ذر رضي الله عنه شعاراً لهن: « عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج للناس شاهراً سيفه » ؛ وذلك لأن له حقاً مشروعاً عند الناس، إذا لم يعطوه إياه بالطيب، حق له أن يأخذه منهم بالقوة.

يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه القيم « تأملات في المرأة والمجتمع » تحت عنوان « لولا الأثرة » : « أما معارضة التعدد فلا أجد لها مسوّغاً في بلاد العرب سوى الولع بالتقليد. يضاف إلى ذلك نزعة الاحتكار في طبيعة المرأة تلك النزعة التي زادها غرور التعليم تضخماً، حتى أوشكت أن تتحول إلى نوع من السرطان النفسي.

وفي اعتقادي أن المرأة وأخص العربية، لولا هذه الأثرة القاتلة، كانت أحرص من غيرها على الدعوة إلى التعدد. كيف لا وهي ترى يومئذ هذا العدد الضخم من أخواتها العانسات والبائسات من الأرامل والفتيات، فتعلم ألا سبيل إلى إنقاذهن من براثن الشقاء إلا بالتعدد. ولو أجرينا إحصاءاً دقيقاً في أوساطنا العائلية لوجدنا في كل مجموعة من القرابات عدداً من المنبوذات، فرض على الواحدة منهن أن تكتفي من الحياة بخدمة أهلها، دون أن تأمل بتأسيس أسرة لها.

فلو تصدقنا على كل واحدة منهن بنصف زوج لكشفنا غيوم التعوسة عن هذه البيوت، ولقدمنا بالتالي إلى وطننا قوى جديدة هو أحوج ما يكون إليها في ظروفه الحاضرة، ونحن شدما يعوزنا تقدير حاجاتنا لمضاعفة ما نملكه من الطاقات البشرية في هذه المعركة التي نخوضها مع الاستعمار ومع

التخلف. ومن المؤسف أن معظمنا لا يدرك عظم الرقعة التي يحتلها وطنه العربي من الأرض، وعظم ثروته الاقتصادية التي تستوعب أضعاف سكانه.

وعندما ندرك هذا سيكون يسيراً علينا أن نعلم كيف نضحي بأثرتنا من أجل وطننا وحريتنا ورسالتنا. ويومئذ ستسمو مقاييسنا الاجتماعية حتى تلتقي بالموازين الإلهية التي لا تخطئ، ويومئذ ستحتل المرأة العربية مكانها الحق الذي بوأها الله إياه كبانية للمجتمع وصانعة للتاريخ، وليس كمقلدة للغرب »[1].

---

(١) تأملات في المرأة والمجتمع، تأليف محمد المجذوب، ص ٢٢٠ وما بعدها.

الحقيقة المرة ووسائل طمسها

وكما كان الشعر هو مرآة المجتمع في الماضي، ومنه تؤخذ أدلة على أحوال المجتمع وأوضاعه، فإن الصحافة هي مرآة المجتمع في العصر الحديث. ومنها يستطيع الباحث أن يعرف قضايا المجتمع ومدى أهمية تلك القضايا بالنسبة إليه.

وقد دأبت معظم الصحف والمجلات العربية، إذا لم نقل كلها، وكذلك الإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، على مناقشة قضية العنوسة وقضية الطلاق. وهذا أكبر دليل على تفشي هاتين الظاهرتين الخطرتين على الفرد وعلى المجتمع. والغريب في الأمر أن تلك الصحف والمجلات ناقشت مشكلة العنوسة وأسبابها وحلولها، ولكنها لم تذكر أن محاربة تعدد الزوجات هو أحد الأسباب، وأن الأخذ بتعدد الزوجات الإسلامي هو أحد الحلول.

وقد ناقشت مجلة اليمامة السعودية قضية العنوسة وجعلتها قضية الأسبوع (٢٦/ ٤/ ١٤٠٣ – ٣/ ٥/ ١٤٠٣)[1]، وكذلك ناقشتها مجلة الشرق السعودية أيضاً وجعلتها موضوع الغلاف (٢٦/ ٢/ ١٤٠٦)[2]، وقالتا: إنه بعد دراسة مئات الرسائل التي وصلتهما أمكنهما الوصل إلى الأسباب الآتية لحالة العنوسة. ونظراً لعدم الإطالة فسوف أجمع تلك الأسباب وأختصرها، وسوف نترك الأمثلة التي وردت عليها إلى موضع لاحق. والأسباب هي:

---

(١) اليمامة العدد ٧٣٨.

(٢) الشرق العدد ٣٣١.

١ـ العادات والتقاليد البالية؛ مثل أن يتم زواج البنت الكبرى أولاً، أو أن البنت محجوزة لابن عمها أو ابن خالها أو خالتها.

٢ـ أسباب عائلية؛ فقد يقبل الأب شاباً وترفضه الأم أو العكس، وقد يصر أحد الأقارب على ألا تتزوج فلانه إلا من فلان .

٣ـ أسباب تتعلق ببعض المعتقدات ؛ قد تتعلق بأصالة القبيلة أو غير أصالتها، وكيفية العلاقة بين الشاب والفتاة، مثل هل يحق للشاب أن يرى الفتاة أم لا؟.

٤ـ سبب اقتصادي أو بمعنى آخر غلاء المهور، وقد ركزت الأضواء على هذا السبب تركيزاً شديداً ولا يكاد يمر أسبوع دون أن نرى له ذكراً في إحدى الصحف أو المجلات .

٥ـ النقلة الحضارية؛ ففي الماضي كان معظم الناس يعيشون في قرى صغيرة ويعرف بعضهم بعضاً، وكانت الروابط الاجتماعية قوية. أما اليوم فقد انتقل الناس إلى المدن، وأصبح كل شخص مشغول بنفسه.

٦ـ التعليم؛ والعلم وما أدراك ما العلم صنم القرن العشرين فمن جهة تتذرع الفتاة أو أهلها بإكمال تعليمها حتى البكالوريوس والماجستير والدكتوراه[1]، ومن جهة ثانية يبتعد الشباب عن الارتباط بالدارسات بالتهمة القائلة: « بأنهن مغرورات » .

---

(١) أجرت مجلة النهضة استفتاءاً في عددها رقم ٩٤٤ ، في ٧/ ١٢/ ١٩٨٥م حول « أيهما أهم الدراسة أم الزواج؟ » وجاء الجواب أن الدراسة أهم والزواج يأتي ثانياً. وقالت إحدى الطالبات: « أما الزواج فسوف يحدث عاجلاً أم آجلاً فلماذا نستعجله؟ » ونسيت أنها يمكن أن تبقى عانساً.

٧ـ عدم التزام الشباب وعدم تقيد الفتيات؛ فبعض شباب اليوم لا يقدرون المسئولية، ويقضون معظم أوقاتهم في اللهو واللعب والسفر للخارج[1]. وكذلك بعض الفتيات يقضين معظم أوقاتهن على الهاتف أو يتمشين في الأسواق.

٨ـ الفتاة نفسها؛ فهناك فتيات بدافع من المراهقة الفكرية أو القصور الفكري يركبهن الغرور اعتماداً على المال أو الجمال أو الحسب والنسب، ويرفضن كل من يتقدم لهن .

٩ـ البحث عن المثالي ؛ حيث تبحث الفتاة عن نجم، عن رجل كامل يكون هو القمة في كل شيء، ويبحث الشاب عن فتاة غلاف، في غاية الرقة والنعومة، ولن يلتقي كلاهما بصاحبه على وجه هذه الأرض، إلا على أغلفة المجلات وشاشة التلفزيون[2].

١٠ـ أسباب متفرقة؛ وهي أسباب شخصية، وهذه تتعدد بتعدد الأفراد، فلكل شخص شخصيته المميزة، وهي ترتبط بحالة الفرد من الوعي والثقافة. وتقول مجلة اليمامة وكذلك مجلة الشرق السعوديتان: « إن لديهما من هذه النوعية مئات الحالات التي تصلح كل منها لتكون قصة درامية في فيلم سينمائي جيد » .

---

(١) في استفتاء أجرته مجلة زهرة الخليج في عددها ٢٨/ ١٢/ ١٩٨٥م، وكان من الأسئلة: رتبي حسب الأهمية في رؤيتك لزوج المستقبل « الثراء – التدين – التعليم – الشخصية » وجاء ترتيب الأغلبية: ١ـ التدين ٢ـ التعليم ٣ـ الشخصية ٤ـ الثراء. ولا داعي للتعليق.

(٢) في رسالتها لنيل الدكتوراه تقول منى الحديدي بعد دراستها لـ ٤١٠ أفلام مصرية: « والغريب أن السينما تتعاطف مع المرأة المنحرفة وتقدمها في صورة زاهية تحبب الانحراف إلى الجميع » . نقلاً عن جريدة اليوم العدد ٤٧٣٠ في ٢٠/ ٩/ ١٤٠٦هـ.

يتضح أن الأسباب السالفة ليست الأسباب الحقيقية للعنوسة، فلابد لكل شاب أن يتزوج طال الزمان أو قصر. ورب قائل يقول: « ولابد لكل فتاة أن تتزوج طال الزمان أو قصر » ، وكلنا يعرف أن هذا الكلام ليس صحيحاً مئة بالمئة، ففي معظم الحالات يستطيع الشاب أن يتزوج متى شاء بمن أراد، وليس بإمكان الفتاة أن تفعل ذلك. فإذا كان لابد لكل شاب من أن يتزوج إلا قلة من المرضى. فلابد لكل فتاة أن تتزوج إلا قلة من المريضات، إذا حكمنا بوحدة الزوجية، أي أن لكل زوج زوج، إذاً ليست هنالك قضية عنوسة. وهذا ليس صحيحاً لأنه يخالف الواقع الملموس، وكما قلنا في البداية بأن الصحافة هي مرآة المجتمع التي تعكس مشاكله وقضاياه، ولا يكاد يمر يوم دون أن تذكر مشكلة العنوسة من قريب أو بعيد.

وإذا افترضنا أن فتاة ما تأخرت في الدراسة كما جاء في اليمامة[1]: « قالت لنا طالبات كلية الطب: إن مجرد تسجيلنا في هذه الكلية يبعد عنا الخطّاب وكأن التسجيل لافتة إعلان تقول: « ممنوع الزواج » لأن مشوار طالبة الطب طويل طويل » فلو كان لكل شاب فتاة لكان لابد أن نجد هذه الفتاة لها شاباً.

وهذا الكلام نفسه ينطبق على الأسباب الأخرى، فإذا كنت شاباً ممن يرضى دينه وخلقه، وتقدمت لعائلة س ورفضت لسبب ما سواءاً من ناحيتي أو من ناحية الفتاة، فإنني لن أمحك عائلة س وأظل انتظر موافقتها الكريمة بل إنني سوف أتقدم في اليوم التالي لعائلة أخرى ترغب في سعادة بناتها.

وإذا كنت في الخامسة والعشرين فما الذي يجبرني على أن أرتبط بفتاة في الثالثة والعشرين، إذا كان بإمكاني اختيار من بين عشرين فتاةً فتاة في

---

(١) اليمامة في ٢٦/ ٤/ ١٤٠٣هـ - ٥/ ٢/ ١٩٨٣م.

الثامنة عشر.

إذاً لو لم تكن هناك زيادة في عدد النساء على الرجال لما ظهرت مشكلة العنوسة، والله سبحانه وتعالى لا يشرع تشريعاً عبثاً وهو الحكيم الخبير، وعندما كان أجدادنا يعددون زوجاتهم لم يعرف المجتمع مشكلة اسمها « مشكلة العنوسة أو مشكلة المطلقات » . بل كانت البنت يعقد عليها قبل أن تبلغ كما فعل رسول الله صلى عليه وآله وسلم حين عقد على عائشة « وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت سبع »[1].

وبذلك يتضح أن السبب الحقيقي للعنوسة هو محاربة نظام تعدد الزوجات الإسلامي، ووصمه بكل وصمة قبيحة[2]، وجعله مادة للتندر والتفكه، واعتبار من يعمل به في غاية التخلف والغباء، ولهذا يجب إرشاده وتوعيته[3]. وعلى العكس من ذلك من يعدد خليلاته وصويحباته فإنه يلقى التشجيع والاحترام والتقدير، ويعتبر إنساناً متحضراً.

ولوسائل الإعلام دور خطير في ذلك، وخاصة التلفزيون أقوى

---

(١) كتاب (مفتاح كنوز السنة) مصدر سابق، ص٣٦٠.

(٢) في مقابلة من جريدة الوطن في ١٥/ ٦/ ٨٦ ، قالت إحدى المطالبات بحقوق المرأة في الكويت: « إن المطالبة بحقوق المرأة هو تعبير صريح وواضح عن انعدام الأنانية بين النساء، ... بينما تركزت في رؤوس إخواننا الرجال لقرون طويلة » ، وقالت: « إنني أعمل بكل ما أملك من أجل هذه المرأة العادية، أما المرأة البدوية فإنني أتمنى الوصول إليها لأعرف مشاكلها ولأحميها من الشرور الكثيرة التي تصادفها ولأدافع عن قضاياها، وخاصة قضية تعدد الزوجات » ! هذا هو بيت القصيد.

(٣) يقول الشيخ بدر متولي: « إن وسائل الإعلام تصور تعدد الزوجات بأنه الجريمة التي لا تغتفر، والإثم الذي لا يقاربه إثم، مع أنه رحمة ونعمة ومخرج لنا مما نشكوا منه وهو انتشار العنوسة » مجلة سيدتي ٢٤٩ في ١٦/ ١٢/ ٨٥م.

وأخطر وسيلة إعلام في العصر الحديث، وللمسلسلات والأفلام عدة أساليب في محاربة الزواج بشكل عام وتعدد الزوجات بشكل خاص منها:

١- تشجيع الانحراف، بالحث على الرقص والغناء وتزيين المظاهر الزائفة، والتشجيع على السفر واتخاذ الخليلات[1].

٢- إكبار وتقدير المنحرفين والمنحرفات وجعلهم قدوات للمجتمع[2].

٣- الاستهزاء والسخرية بالشرف والالتزام بقوانين الزواج الإسلامي، وخاصة تعدد الزوجات، وجعل من يعدد زوجاته مادة للتفكه والسخرية.

ذلك هو دور التلفزيون، أما دور الصحافة فهو لا يقل عن ذلك. والقضية التالية تكشف دور الصحافة بجلاء:

فقد قامت في الكويت جمعية من الفتيات تطلق على نفسها « جمعية محاربة العنوسة » . وفكرة الجمعية أساساً تكشف عن ثلاثة جوانب:

الأول: أن العنوسة حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها.

الثاني: إيمان هؤلاء الفتيات وتمسكهن بتعاليم دينهن.

الثالث: أنانية المرأة المتزوجة وعدم التفكير إلا في نفسها.

وقد اطلعت على عدة مجلات كتبت عن الموضوع في حينه، منها مجلة الشرق السعودية العدد ٣٣٧، ومجلة النهضة الكويتية العدد ٩٤٨، ومجلة

---

(١) تقول منى الحديدي في رسالتها لنيل الدكتوراه: « إن المرأة المنحرفة تمثلت –في السينما المصرية– بنسبة ٩٤٪ وهي نسبة عالية جداً إذا ما قورنت بالواقع الاجتماعي، ونجد من هذه النسبة أن ٤٨٪ منهن نساء ليل » . جريدة اليوم العدد ٤٧٣٠.

(٢) « والغريب أن السينما تتعاطف مع المرأة المنحرفة وتقدمها في صورة زاهية تحبب الانحراف إلى الجميع » المصدر السابق. وما نلاحظه من شهرة واسعة للمنحرفين والمنحرفات.

سيلتي والتي تصدر من لندن العدد ٢٤٩. وقد اتفق الجميع على « غرابة الفكرة وأن اللواتي قمن بها لسن أسوياء وبهن مس من الجنون » .

وهذا الكلام جدُّ صحيح، فعن غرابة الفكرة يقول (ص): « جاء الإسلام غريباً وسيعود غريباً » . وعن أنهن لسن أسوياء، فعاطفة الأمومة إذا لم ترو لا تعد المرأة من الأسوياء، وكلنا يعرف ذلك عن طريق ملاحظة العوانس والمحرومات. وللمقدميات جداً نضيف « صفوة القول أن وجود الجنين، الذي تختلف أنسجته اختلافاً كبيراً عن أنسجة الأم بسبب صغرها، لأنها جزئياً من أنسجة زوجها تحدث أثراً كبيراً في المرأة » [1].

أما عن « أن بهن مس من الجنون » ، فإن غريزة الجنس إذا لم تشبع عن طريق الحلال، فإنها حتماً -إلا من عصم ربي- ستتجه للإشباع عن طريق الحرام، وهذا بالضبط ما يريده من يحاربون أنظمة الإسلام.

وكانت الموضوعات على شكل مقابلات أجريت مع ثلاث فئات من المجتمع هي:

١/ النساء المتزوجات ٢/ علماء النفس ٣/ علماء الدين

١ـ النساء المتزوجات: وقد كانت أكثر المقابلات معهن، وذلك لكي يبدو بأن معظم المجتمع يرفض ذلك تعدد الزوجات. ومن الطبيعي أن ترفض النساء المتزوجات تعدد الزوجات بغض النظر عما يأمر به الدين.

« تقول إحداهن: « هذا شيء خرافي من بنات مسلمات يرضين على أنفسهن تخريب حياة أسر سعيدة » -وترضى هي بخراب المجتمع-! لو طرقت بابي فتاة ... سوف استقبلها ... وأحاول إقناعها بخطأ أسلوبها وطريقتها في

---

(١) الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص ١١٠.

اختيار شريك حياتها لأن هذه الطريقة لا يقرها الدين ولا عادات المجتمع » .

وعن أسباب المشكلة تقول: « ولا توجد أسباب محددة للمشكلة تقع على طرف دون آخر ... إنها مشكلة خاصة بصاحبة المشكلة » .

والفتيات قمن بذلك العمل بدافعين:

أولاً: الدين يقر ذلك، فقد فعلته خديجة رضي الله عنها حين طلبت الزواج من رسول الله، وكذلك فعله الخليفة عمر بن الخطاب على عهد رسول الله ولم ينكر صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بل شجعه عليه حين تزوج من ابنته حفصة.

وثانيا: المشكلة ليست خاصة بصاحبتها إذا كنا مجتمعاً يتمسك بالدين وبذلك يسوده الترابط والتلاحم، بالإضافة، إذا وقع المحظور، فضرره سوف يصل حتى المتزوجات.

والغريب أن الأخصائية الاجتماعية تقرر « والحل المناسب لذلك هو الرجوع إلى ديننا الإسلامي الحنيف » .

وتقول ثالثة وهي محامية: « إن ما يحدث إهانة للمرأة ... إنه أمر يثير الاشمئزاز، وشيء مؤسف حقاً أن نجد جماعة مثل هؤلاء الفتيات » ، وتضيف قائلة: « كيف يكون شعور الواحدة منهن عندما تهينها ربة بيت وتطردها ... أنا نفسي لن أهينها فقط بل ربما أضربها » [1]. هل مثل هؤلاء يؤخذ رأيهن في مثل هذه القضية، وإذا أخذ هل يكون حكماً واجب تنفيذه، لا يجوز ذلك إلا إذا جاز أن يكون الخصم هو الحكم. وجزى الله الشيخ محمد متولي الشعراوي خيراً إذ يقول: « لنفرض أن هناك امرأة تعرض على هذا الصدد فلنسألها: هل أنت

---

(١) مجلة النهضة الكويتية، العدد ٩٤٨، في ٤/ ١/ ١٩٨٦م.

متزوجة أم لا؟ والجواب أن ٩٥٪ من الممرضات متزوجات، فنقول لها: لا رأي لك، لأنك متهمة في إبداء هذا الرأي لأنك لا تحبين الشريكة لك.

ولكن آخذ رأي من لم تتزوج وتكون على الحياد. نقول لها: أتكونين زوجة ثانية بدلاً من ألا تكوني زوجة؟ وسيكون الجواب حتماً: أكون زوجة ثانية بدلاً من ألا أكون زوجة، والثالثة كذلك والرابعة أيضاً.

إن فكرة التعدد منطقية وواقعية وفلسفية، فالمنطق يحكم أنه لا يمكن أن يعدد شيء على شيء إلا إذا كان المعدد فائضاً » [1].

٢- علماء النفس: وهم الفئة الثانية التي أجريت معها المقابلات بصفتهم أطباء المجتمع -وقد زادت أمراضه- . وكعادة من لا يتخذ مقياساً صحيحاً يسير على هداه جاءت إجاباتهم متناقضة. فبينما يقول البعض إن انتشار التعليم رأسياً وأفقياً، أي اتساعه وتدرجه إلى الجامعة، كان من الأسباب التي أدت إلى انتشار ظاهرة العنوسة، يقول آخر: « أنا أعتقد أن حل هذه المشكلة مرهون بانتشار التعليم، والاعتراف الحقيقي بحقوق الإنسان ... وفي الوقت الذي يتحقق فيه ذلك سوف تختفي ظاهرة العنوسة تدريجياً. ويجب ألا يشمل مفهوم العنوسة كل فتاة وامرأة فضلت بمحض إرادتها ألا تتزوج » [2].

هل هناك فتاة سوية تفضل بمحض إرادتها ألا تتزوج إلا إذا كانت -والعياذ بالله- تشبع غريزتها عن طريق غير شرعي، وإذا لم يشملها مفهوم العنوسة، فأي مفهوم يشملها.

وتناقض آخر حيث يقول الدكتور ضياء المعصم: « نصيحتي لكل فتاة

---

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، للشيخ الشعراوي، ص٧٥.

(٢) سيدتي رقم ٢٤٩، في ١٦/ ١٢/ ١٩٨٥م - ٤/ ٤/ ١٤٠٦هـ.

تقدم بها العمر، ولم يتقدم أحد لخطبتها أن تسعى للبحث عن الشاب المناسب، دون أن يكون هذا السلوك مناقضاً لمعايير الدين الإسلامي أو لتقاليد المجتمع الخليجي المحافظ. وأعتقد أن في إسلامنا قدوة لكل فتاة وهي السيدة خديجة رضي الله عنها »[١].

بينما يقول دكتور آخر وهو رئيس قسم علم النفس في جامعة الكويت: « إن سلوك هؤلاء السيدات -يقصد آنسات جمعية محاربة العنوسة- يمثل سلوكاً غير سوي بالمرة، وأقل ما يمكن أن يوصف به بأنه صدمة حضارية أن نجد مثل هذا العمل في مجتمع شرقي، إسلامي، عربي.. عرف بأن الرجل يتقدم لخطبة المرأة »[٢].

ثم يضرب مثلاً برفض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون هناك ضرة لابنته، ويتناسى أولاً منزلة فاطمة الزهراء عليها السلام من أبيها، وثانياً مئات الأدلة على العكس من التاريخ الإسلامي.

فهذا هو علم النفس، بعضهم يقول إن التعليم سبب من أسباب ظاهرة العنوسة، وبعضهم الآخر يقول إن القضاء على ظاهرة العنوسة يكون بانتشار التعليم. ودكتور يقول إن الدين يشجع الفتاة أن تخطب لنفسها، ودكتور يقول: « إنها صدمة حضارية أن نجد مثل هذا العمل في مجتمع شرقي إسلامي عربي » .

والمرجع الصحيح الذي يجب أن نسير عليه باعتبارنا مجتمعاً شرقياً إسلامياً عربياً هو ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ

---

(١) مجلة سيدتي، العدد ٢٤٩، في ١٦/ ١٢/ ١٩٨٥م.

(٢) مجلة الشرق، العدد ٣٢٧، في ١٢/ ١٠/ ١٩٨٥م - ٢٨/ ١/ ١٤٠٦هـ.

القَوِيّ الأَمِين﴾[1].

٣ـ علماء الدين: جاءت إجابات علماء الدين مشجعة على تعدد الزوجات، وهذا طبعاً مستمد من تشجيع الدين له، فها هو الشيخ بدر المتولي عبدالباسط أمين عام الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت، يدعو « جمعية محاربة العنوسة » أن تتبنى عدة حلول لمحاربة العنوسة، منها الدفاع عن تعدد الزوجات.

ويضيف: « على الجمعيات النسائية أن تقنع الفتاة أو المرأة غير المتزوجة إذا تقدم لها خاطب مناسب مرضي عنه في دينه وخلقه وقدرته على الإنفاق وعدم الإضرار بها أن تقبل به وأن تذلل له كل الصعاب. وعليها أن تبين خطر الدعايات التي تبالغ في ذكر مساوئ تعدد الزوجات، وتقلل من شأن الانحرافات الخلقية » [2].

ولو شاء لأضاف بأن على تلك الجمعيات التي تدعي الدفاع عن حقوق المرأة، أن تقنع المتزوجات بأن البنت العانس إنسان مثلهن عندها إحساس وشعور وغريزة، ولها حق عظيم في أن تصبح زوجة وإماً وربة بيت.

وتورد مجلة النهضة رأي الدين قائلة: « لابد لنا من معرفة رأي الدين فهو الحد الفاصل والرأي القاطع والأخير ... ثم تطرح السؤال بالصيغة التالية، على الشيخ عبدالرزاق زيان: « ما رأي الدين في الفتاة التي تبحث عمن تختاره عارضة عليه الزواج؟ » .

فيكون الجواب الطبيعي: « وفي أوائل هذا القرن نادى بعض الناس

---

(١) سورة القصص ٢٦.

(٢) مجلة سيدتي، رقم ٢٤٩، في ١٦/ ١٢/ ٨٥م.

من عشاق المدنية بحرية المرأة وزينوا لها أن تخرج على التقاليد الإسلامية والشرقية ... فأصبحت المرأة طليقة تخرج كيف تشاء ومتى تشاء وتجالس من تشاء وكانت النتيجة أن عادت إلى بيت أبيها تتأبط ذراع فتى لا صلة بينه وبين الأسرة »[1].

وواضح أن السؤال لا علاقة له بتعدد الزوجات، ولا بجمعية محاربة العنوسة؛ وذلك لسبب جدُّ واضح وهو أن القائمات عليها هدفهن القضاء على الزنى، الذي لا يتم إلا بالقضاء على العنوسة، والتي لا يتم القضاء عليها إلا بتعدد الزوجات، الذي هو تشريع إسلامي، تحاربه جمعيات تحرر المرأة في كل مكان.

وفي نهاية موضوعها تورد مجلة النهضة الكويتية سلسلة طويلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لا صلة لها بموضوع جمعية تعدد الزوجات ومحاربة العنوسة من بعيد أو قريب.

وغاية ما في الأمر أنها أوردت كل تلك السلسلة الطويلة من الآيات والأحاديث لتثبت أنه « لا زواج إلا بولي » يا سبحان الله، ومن أخبركم بأن فتيات جمعية محاربة العنوسة، أصبحن مثل الفتيات اللاتي تنشرون صورهن على غلاف مجلتكم.

---

(١) النهضة، العدد ٩٤٨، في ٤/ ١/ ٨٦م.

ضرورات تعدد الزوجات

إذا كان للتعدد مشاكله وأضراره التي يمكن حلها بالعقل والمنطق وحسن الخلق، وبالإيمان با لله والتوكل عليه ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة. فإن له أسبابه التي تدعو له، ولا يمكن حلها بأي حال من الأحوال بدون الأخذ به.

والأسباب التي تدعو إلى التعدد كثيرة، كما يقول الدكتور العطار: « لا تكاد تحصى لأن لكل حالة سبباً خاصاً بها » [1]. ولكن هناك أسباباً عامة، يمكن لكل إنسان أن يلاحظها، منها:

١ـ وجود العانسات:

من الحالات الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، والتي لم يستطع المكابرون والمعاندون إخفائها أو وضع حل لها، هي زيادة النساء على الرجال، ليس في عالمنا العربي والإسلامي فقط، وإنما في العالم أجمع.

تقول الإحصاءات السكانية إن نسبة النساء إلى الرجال في العالم تصل إلى ٧٠٪ ، وفي المجمع السعودي تصل إلى ٦٥٪ [2].

وتقول جريدة المجمع الكويتية: « إذا افترضنا أن كل كويتي تزوج –

(١) تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، ص٤٦.

(٢) من مقال للدكتور علي عبدالعزيز العبدالقادر، جريدة اليوم، العدد ٤٦٩، تاريخ ١٨/ ٨/ ١٤٠٦هـ.

أو سيتزوج- من كويتية، فإن نسبة العنوسة في الكويتيات ستكون ١٪ من مجموع الإناث (أي ٣٤٢٥ حالة عنوسة) .. أما إذا أدخلنا بعض العوامل الأخرى في الحساب (كالزواج من غير الكويتية) و (الطلاق) و(الوفاة) فإن جميع تلك العوامل -وعوامل أخرى غيرها- تضيف إلى عدد العوانس (الكويتيات) أعداداً أخرى في متوالية (هندسية) سريعة ومخيفة »[1].

وفي مصر ٨٠٥ آلاف بكر فوق السادسة عشرة، ١٤٧ ألف مطلقة، مليون وست وستين ألف أرملة، أي كان هناك ٢ مليون و٢٩٨ ألف أنثى في سن الزواج وفي غير عصمة رجل مما يسبب بطالة في الحياة الجنسية لعدد كبير من النساء، وهذه تؤدي إلى مشاكل خطيرة، تقود إلى فساد المجتمع كله وانهياره[2].

وفي اليابان هناك مليون و١٤١ ألفاً و ٨٨٤ عانساً، حتى لو تزوج جميع الرجال. وفي فرنسا يزيد عدد النساء على الرجال بنسبة ٢,٦٪[3]. أما في وسط شرق آسيا فالنسبة أكبر من ذلك بكثير، حيث تبلغ نسبة النساء في بلد مثل تايلند خمسة أمثال الرجال[4].

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٧٦٩، ٢٧/ ٨/ ١٤٠٦هـ - ٦/ ٥/ ١٩٨٦م.

(٢) تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، عبدالناصر العطار، ص٣٧ وما بعدها، وكان ذلك عام ١٩٦٠م، أي قبل حربي ٦٧ و٧٣، وقبل أن ننحرف نحو المدنية الغربية أكثر وأكثر. فإلى أي مدى وصل بنا الحال في العصر الحديث.

(٣) المصدر السابق، ومعنى هذا أن تكون في فرنسا نسبة تعدد الزوجات ٢,٦٪ حتى يمكن لكل امرأة الحصول على زوج. وهذا هو حق المرأة التي تدافع عن سواه لأن الرجل يريد ذلك ويريدها أن تكون دمية بدلاً أن تكون زوجة تكلفه تبعات ومسئوليات، وبشترك معها في تربية الأبناء.

(٤) المسلمة العصرية عند باحثة البادية، لعبد المتعال الجبري.

يا من تحاربون تعدد الزوجات الإسلامي إذا كنتم لا تفقهون في الدين لأنكم تعتبرون أنفسكم متقدمين أكثر منه، وإذا كنتم لم تستخدموا عقولكم لأنكم تصلون عن حقائق عصر العلم الباهرة، ولأنكم لم تضعوا حلاً لمشكلة الفتاة التي تريد أن تشبع غريزتها، وتحافظ على شرفها وعفتها وكرامتها.

أفلا تلين قلوبكم القصص الحقيقية المأساوية التالية، وإذا لم يكن الدين الإسلامي هو الحل فما هو الحل إذاً؟ هل هو باتباع طريق الغرب وإضاعة الشرف والعفة والكرامة؟ وإذا كان ذلك يروي الجنس، فإنه لا يشبع غريزة الشعور بالإنسانية، وغريزة الأمومة، التي تتوق إليها كل فتاة.

القصة الأولى وردت في زاوية « همسة صدق » في مجلة حواء المصرية[1]، ولأن الرسالة طويلة فسوف نقتطع أجزاء منها، تقول صاحبة الرسالة: « شخصيتي مثل أي شخصية في الدنيا، لها صفات جوهرية وأخرى ظاهرية. أما صفاتي الجوهرية فإنني عندي أخلاق وقيم ومثل، أخاف الله، أعرف حق الجوار، أصل الرحم، أعرف العيب، خدوم لأقصى درجة، أتحمل المسئولية، لا أدخن ولا أشرب الكحول. لم أدنس نفسي ولو بمجرد اللمسة، لم أدخل في حياتي مقهى ليلياً، محترمة وقور في تعاملي مع الناس، ومن أسرة متوسطة الحال.

أما عن صفاتي الظاهرية فهي أنني جامعية حاصلة على درجة الماجستير، عندي شقة مجهزة بأحدث الآلات، ولي ثلاثة حسابات جارية بالبنوك الأجنبية والمصرية، مقبولة الشكل، مرحة، اجتماعية وأعمل في القطاع الحكومي بدخل شهري مرضٍ جداً بفضل الله.

---

(١) حواء، العدد ١٥٤١، ٥ إبريل ١٩٨٦م.

مشكلتي تكمن في أنني الآن في الخامسة والثلاثين من العمر، ولم يتقدم لخطبتي أي رجل، رغم ما ذكرته لك من أسباب قد ترجح كفتي في الزواج.

سيدتي أنا الآن عانس فاتني قطار الزواج، الناس حرموني حقي في الحياة. حكموا علي حكماً قاسياً، أطاح بسعادتي وأملي في أن أكون زوجة وأماً. إن جميع من حولي لهم تعليقات شديدة القسوة، وأنني أنا التي ترفض الزواج، لأن لي شروطاً متعنتة بسبب دراستي ومؤهلاتي.

وفي نهاية رسالتها تسأل الكاتبة « أريد رأيك فيما وصلت إليه نفسيتي من جراء هذا الوضع المؤلم » .

أليست هذه حقيقة تبعث على الألم والحسرة، فتاة تتحلى بكل تلك الصفات –وهي صادقة، لأنها لو لم تكن كذلك لما اضطرت أن تكتب تلك الرسالة– ترتجي من يتقدم إليها ولم يتقدم إليها أحد، ولم تشفع لها دراستها ولا مؤهلاتها ولا حتى حساباتها الجارية. وهي من ناحيتها لم تغنها دراستها ومؤهلاتها وحساباتها عن أن تفكر في أن تصبح زوجة وأماً، وانظر إلى مقدار الحسرة والأسى في قولها: « الناس حرموني حقي في الحياة، حكموا عليَّ حكماً قاسياً، أطاح بسعادتي وأملي في أن أكون زوجة وأماً » .

وفي تحقيقها تورد مجلة الشرق[1] عدة مآسٍ نقتطف منها:

المأساة: ١ـ «أنا (ج.م) من الدمام، عانس في العقد الثالث من عمري، تقدم لي شاب طيب وكنت أريد الاقتران به ولكن أبي رفض لأنني يجب أن أتزوج ابن عمي. وتحدثت مع ابن عمي ووجدت أنه لا يريدني.

---

(١) مجلة الشرق السعودية، العدد ٣٣١، في ٢٦/ ٢/ ١٤٠٦هـ.

إنني أتوق إلى الزواج والبيت والأطفال، كما تتوق الأرض العطشى إلى الماء، ولكن هذا هو أبي يقول « لا » .. فماذا أفعل؟ » .

والسؤال الآن: هل بقي الشاب الذي تقدم لها بدون زواج أم أنه وجد فتيات كثيرات غيرها.

المأساة: ٢ـ « أنا (هيلة . م) أحيي نفسي بالعروس العانس، فأنا في السابعة والثلاثين من العمر، عشت عانساً طوال هذه السنوات، ولكن يبدو أنني سوف أتزوج في النهاية، إنني أكاد أطير من الفرح، ومبعث سعادتي ليس هو الزواج فقط، بل لإحساسي أنني سأتزوج في السن التي تسمح لي بإنجاب الأطفال، لأن غريزة الأمومة تملك عليَّ كل جوارحي » وهذا يدل على أن غريزة الأمومة أقوى من غريزة الجنس، ولا يمكن إشباعها بالحرام.

المأساة: ٣ـ وهي مأساة عدة أخوات، تذكر (ج.م الهاجري) « توفيت الأم وحلت الأخت الكبرى محلها، ومرت السنوات وهي تقوم برعاية إخوانها بنياً وبناتاً، إلى أن تخرجت الأخت الأخيرة.

في العام الماضي تقدم للصغرى رجل مناسب، لكنها رفضته لأنها رأت أنه لا يمكن للصغرى أن تتزوج قبل أخواتها الكبار، كما أنه لا يمكن أن يقابل الإحسان بالنكران.

وكانت النتيجة أن أحداً لم يتقدم للأخت الكبرى حتى الآن فأصبحت عانساً، وما زالت بقية الأخوات ينتظرن في بيت العانسات هذا ».

ليس السبب في « بيت العانسات » هذا، كما تسميه (ج. الهاجري) ، هي الأخت الكبرى، ولكنه زيادة النساء على الرجال، ولو كان هناك زيادة في الرجال لما بقيت على أقل تقدير ثلاث أخوات عانسات، وطبعاً لا يمكن للأخت الكبرى الآن إلا أن تتزوج برجل متزوج، وبذلك تفتح لأخواتها

الباب للزواج قبل أن يحصل ما لا تحمد عقباه.

آ. وجود الأرامل والمطلقات:

ذكرنا أن السبب الأول الذي يشجع للأخذ بتعدد الزوجات الإسلامي هو زيادة عدد النساء على الرجال، وذلك ما أثبتته الدراسات وما نلاحظه في المجتمع المحيط بنا.

ولعل مكابر يغمض عينيه عن ذلك ويقول إن عدد النساء مساوٍ لعدد الرجال، وإذا أمكن له ذلك فهل يمكن له أن ينكر على المطلقات والأرامل -وما أكثرهن في عصر التقدم- حقهن في الحياة، أو هل ينكر وجودهن أصلا؟!.

إن مشكلة الطلاق مشكلة واضحة وضوح الشمس، وقد تفاقمت بشكل مخيف في السنوات الأخيرة، وذلك بسبب التقدم الخاطئ الذي خدعنا أنفسنا به. ومع كل تلك الأدلة والبراهين نصر على السير في ذلك الطريق، ونحارب شرع الله الذي ضمن لنا السعادة والهناء ولم نعايش تلك المشاكل عندما كنا نسير على نهجه.

والغريب أننا ننتقد الغرب، ونعدد مساوئ شيوع الجنس هناك، ومع هذا نركض لاهثين في اقتفاء أثره، والسير على نهجه، خصوصاً في قضايا تحرر المرأة. ومما لاشك فيه أننا متخلفون عن الغرب في الناحية المادية، ولهذا نحن الآن نعرف ماذا سيؤول إليه حالنا إذا استمرينا في السير على نهج الغرب.

أليست بريطانيا هي رائدة العصر الصناعي الحديث؟. ألم تكن في يوم من الأيام الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس؟. وكانت هي القدوة للدول الأوروبية الأخرى. ووصل بها الحال إلى أن مكتب المساحة والتعداد

البريطاني في إحدى نشراته الصادرة عام ١٩٨٦ يقول: « الزيجات في بريطانيا تنهار بأسرع مما يستغرق سلق بيضة دجاجة ... ففي إنجلترا وويلز سجلت ١٦٠ ألفاً و ٣٠٠ حالة طلاق، أي حالة طلاق كل ٣ دقائق، بزيادة ١١ في المائة عما كانت عليه عام ١٩٨٤ حيث بلغت ١٤٤ ألفاً و٥٠١ حالة طلاق.

وتوضح الأرقام التي أوردها المكتب أن نسبة الطلاق مرتفعة أكثر في حالة الأزواج الأصغر سناً، وخاصة من هم دون الخامسة والعشرين. ويعزو المكتب ذلك إلى حالات الانحراف الأخلاقي »[1].

وفي أمريكا –قمة التقدم الحديث– وصلت نسبة الطلاق إلى أكثر من ٦٠٪[2].

وقد أوردت هذين المثلين من الغرب، الذي نحن مفتونون به رغم أنهما خارجان عن مجال بحثنا، وذلك ليكونا لنا عبرة، قبل أن نصل إلى ذلك المستوى المنحط من الأخلاق.

والهدف هو أن نؤكد إضافة إلى ما نلاحظ نحن أنفسنا من ارتفاع نسبة، الطلاق في مجتمعاتنا، بل في الأسر القريبة منا. وارتفاع نسبة الطلاق تعني وجود عدد كبير من المطلقات. وإذا علمنا أن ٩٥٪ لا يعودون إلى مطلقاتهم، وأن نسبة ضيلة جداً قد تصل إلى ١ في المليون ممن يتزوجون لأول مرة يتزوجون بمطلقات أو أرامل. فقل لي بربك أيها القارئ الكريم أين يذهب ذلك العدد الكبير من المطلقات والأرامل؟.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، في ٢٧/ ١١/ ٨٦. والسبب يعود إلى أن من يجرب أن يبيت كل ليلة مع واحدة مختلفة، لا يرضى أن يستمر بقية عمره مع واحدة فقط.

(٢) من شريط « المرأة » للأستاذ محمد قطب.

ففي مصر كان هنا ١٤٧ ألف مطلقة، وذلك في عام ١٩٦٢[1]. فكم يا ترى وصل العدد الآن؟!، ولا توجد إحصاءات دقيقة عن الطلاق في دول الخليج، ولكن هناك بعض المؤشرات والأبحاث التي توضح خطورة المشكلة.

ففي عددها الصادر في ٢٢/ ١١/ ١٩٨٦ تذكر مجلة « زهرة الخليج » أن عدد اللواتي يحصلن على المساعدات الاجتماعية بسبب الطلاق هو ٣٠٣٢ حالة، وهذا العدد يشكل ١٠,٥٪ من مجموع الحاصلين على المساعدات الاجتماعية. وتضيف المجلة أن هذا العدد لا يشمل الحالات التي لها مصدر دخل آخر أو اللواتي يعففن عن أخذ المساعدات الاجتماعية. وتضيف المجلة « إننا إذا أضفنا هذه الفئة إلى الأعداد المسجلة لدى الجهات المسئولة وهن يزدن عن ٥٠ ألف حالة لتأكدنا أن نسبة الطلاق مرتفعة وأنها تمثل مشكلة حقيقية تتسم فعلاً بالخطورة، فهي تعني أن أكثر من ١٥٪ من الأسر المواطنة اجتاحها غول وخطر الطلاق » [2].

وتبين الإحصاءات أن عام ١٩٨٤ شهد ٣٢٣ حالة، فقز العدد عام ٨٥ إلى ٣٧٠ حالة طلاق، بينما كانت المهجورات ٤٢ عام ٨٤ ارتفع إلى ٦٢ عام ٨٥[3]. ذلك في منطقة رأس الخيمة فقط من الإمارات العربية المتحدة، فكم يا ترى وصل العدد الآن؟.

وجاء في تقرير شامل عن الجهاز المركزي للإحصاء في البحرين أن عدد عقود الزواج لعام ١٩٨٥ بلغت ٢٢٣٣ حالة، بينما بلغت حالات

---

(١) تعدد الزوجات لعبد الناصر العطار، ص٢٨٠.

(٢) مجلة زهرة الخليج، رقم ٤٠٠، في ٢٠/ ٣/ ١٤٠٧هـ – ٢٢/ ١١/ ٨٦.

(٣) مجلة زهرة الخليج، رقم ٣٦٢، في ٢٠/ ٦/ ١٤٠٦هـ – ١/ ٣/ ٨٦.

الطلاق ٥٣٥ حالة[1]، أي أن نسبة الطلاق هي ٢٤٪. أو بمعنى آخر أن ربع من تزوجن في ذلك العام تقريباً قد تم طلاقهن، وهذه نسبة عالية جداً، وإذا علمنا أن ٢٩٪ من المطلقات قد تم طلاقهن قبل الدخول بهن[2]، وإذا أخذنا بعين الاعتبار نظرة المجتمع الشرقي إلى المطلقة، وخاصة إذا لم يتم الدخول بها عرفنا مقدار البؤس والشقاء التي تعانيه المطلقة، والذي لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه.

فَلِمَ نغلق باب الأمل الوحيد أمامها؟ لماذا نزرعه بالأشواك والعراقيل؟ لماذا نحارب شرع من يعلم ما تعانيه العانس والمطلقة والأرملة من بؤس وتعاسة وشقاء؟.

إنا إذا أغلقنا باب تعدد الزوجات فلن يبقى لأولئك البائسات إلا باب الرهبنة وهو الأصعب ، وباب السقوط وهو الأسهل، وهذا هو ما يريده أعداء الله ورسوله والإنسانية. فهل نرضى أن نضع أيدينا في أيديهم ونكون حرباً على الله وعلى رسوله وعلى شريعته.

وإذا علمنا بأن ظروف دول الخليج، بل ظروف دول العالم الإسلامي متشابهة تقريباً علمنا حجم مشكلة العوانس والأرامل والمطلقات، وعلمنا مقدار الخطر الذي يتهددنا إذا لم نعد إلى ديننا الحنيف، وشريعته السمحاء.

ومما لاشك فيه أن الرجال معرضون للخطر والهلاك أكبر بكثير من النساء، وخصوصاً في مرحلتي الشباب والكهولة. حيث يتميز الشباب بالتهور والاندفاع وحب المغامرة، بينما يتعرض الكهول للخطر في أعمالهم.

ويكفي أن نذكر في هذا المجال حوادث المرور التي تودي بحياة الألوف

---

(١) جريدة اليوم، في ٢/ ١١/ ١٤٠٦هـ – ٩/ ٧/ ١٩٨٦م.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، في ٢٠/ ٧/ ١٩٨٦م.

سنوياً. وإذا كانت مشكلة المرور مشكلة عالمية فهي في دول الخليج أشد مأساوية.

فقد ذكرت النشرة الإحصائية التي تصدرها المديرية العامة للمرور في المملكة العربية السعودية، أن عدد الحوادث المرورية بالمملكة خلال الشهور التسعة الأولى من هذا العام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م بلغ ٢٤ ألفاً و٥٢١ حادثاً، أصيب فيها ١٥ ألفاً و٩٧٢ شخصاً توفي منهم ١٩٦٣ فرداً.

والجدول التالي يوضح أعداد السائقين حسب سني عمرهم:

تحت سن ١٨	فوق سن ١٨	فوق سن ٣٠	فوق سن ٥٠
١٦٣١	١٣٠٢٠	٢٤٥٤٢	٢٢٤٥

وكما هو ملاحظ فإن الغالبية العظمى من السائقين هي من فئتي الشباب والكهول، والتي تزيد نسبتها عن ٩٠٪ من مجموع السائقين المتسببين في الحوادث.

وبالنسبة للحالة الاجتماعية للسائقين فقد كان هناك ٢٥ ألفاً و٥٣٩ سائقاً متزوجاً، و١٥ ألفاً و٨٩٩ غير متزوج، أي أن نسبة المتزوجين كانت الثلثين تقريباً بالنسبة للمجموع.

فإذا علمنا أن كل السائقين في المملكة العربية السعودية من الذكور، اتضح لنا عدد الفتيات اللاتي كان من الممكن أن يتزوجن ومقدار من أصبحن أرامل مقابل الـ ١٩٦٣ متوفى، هذا عدا المعوقين والمقعدين وأغلبهم طبعاً من الرجال.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة انخفض عدد الحوادث[1] من ٢١

---

(١) جريدة الاتحاد، العدد ٤٧٩٦، في ١٨/ ٣/ ١٩٨٧م - ١٨/ ٧/ ١٤٠٧هـ. وقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط الصادرة في ٢٩/ ٣/ ١٩٨٧ أن عدد قتلى حوادث المرور في مصر بلغ ٦٥٥٥ قتيلاً، بينما كان عدد المصابين ٣٢٦٣٠ معظمهم طبعاً من الرجال.

ألفاً و٦٠١ عام ١٩٨٥ إلى ١٨ ألفاً ٢٦٨ عام ١٩٨٦، بينما زاد عدد الوفيات من ٢٩٦ عام ٨٥ إلى ٣٧٧ عام ٨٦، وطبعاً زاد عدد الإصابات من ٥٥٨٩ إلى ٦٢٥٣، وبذلك يزيد عدد المعوقين والمقعدين، وكما هو معروف فإن غالبيتهم العظمى من الرجال، وهذا مما يخلف زيادة في النساء من العانسات والأرامل ومعظمهن طبعاً في سن الشباب.

وتؤكد إحدى الإحصاءات في دول مجلس التعاون أن من بين كل ١٠٠ ألف شخص في الدول الخليجية يذهب ٣٧ شخصاً ضحية لحوادث المرور، بينما لا يزيد عدد ضحايا حوادث المرور في الولايات المتحدة عن ٢٨ شخصاً من كل ١٠٠ ألف شخص[1].

هذا مجال واحد من المجالات الخطرة الكثيرة التي يتعرض لها الرجل اكثر مما تتعرض لها المرأة خصوصاً في مجتمعاتنا المحافظة، فإذا أضفنا إليها مجالات الأعمال الخطرة المختلفة، ومجالات الأسفار والمغامرة، لاتضح لنا حجم الضحايا من الطرفين الرجال والنساء مما لا ينكره أكبر المعاندين والمعارضين.

فإذا كان هناك أمل ضعيف للعانس في أن تكون الزوجة الوحيدة لرجل سليم، فهل تملك الأرملة مثل ذلك الأمل، خصوصاً إذا كان لديها طفل أو اثنان؟ أجيبونا يا من تطالبون بتحرر المرأة وتحريم تعدد الزوجات.

طلق (ع.ب) زوجته الشابة (ف.ل) وترك لها ابنهما الوحيد أحمد، الذي كان كل شيء في حياتها، حتى أن حديثها كله عن أحمد هذا. قال أحمد .. فعل أحمد .. أكل أحمد.

---

(١) جريدة الاتحاد مصدر سابق، العدد ٤٧٩٦.

وذات يوم وفي أثناء عودتهما من الشام تعرضا لحادث مروري قتل فيه الطفل ونجت الأم. ما مصير تلك الأم الشابة المطلقة التي كان أحد كل شيء في حياتها؟.

وواقعة أخرى كانت (خ.أ) تحب الأطفال وتهيم بهم، وكان هو لا يكترث بذلك، حدثت بينهما خلافات فعادت إلى بيت أبيها مطلقة، فكيف ترضي شغفها في حب الأطفال؟.

أفلا تشجي هذه الواقعة القلب، أفلا تدمع هذه الحادثة العين. وماذا تفعل الأم المسكينة المطلقة إذا وجدت في مجتمع يحارب تعدد الزوجات.

هذه حالة واحدة من مئات الحالات بل آلاف الحالات التي تقطع قلب المسلم أسىً وحسرة، لأن المجتمع يضع صاحباتها أمام طريقين ويستنكر الطريق الثالثة:

١ـ أن تختار طريق التبتل والرهبنة، وهذه رغم صعوبتها فإنها لن تخلف عليها بولد يملأ عليها حياتها.

٢ـ أو تسلك طريق الانحراف والزنى والعياذ بالله، وهذا رغم كونه معصية موبقة فإنه لن يثمر ولداً؛ لأن المجتمع لن يسمح بذلك ما دام محافظاً.

٣ـ وهو الطريق الذي يستنكر، الزواج كزوجة ثانية أو ثالثة أو حتى رابعة، وهذا هو حل الله ورسوله والعقل والمجتمع المسلم الذي تعلم فيه نوازع الشيطان من جانب الرجل والأنانية من جانب المرأة، وتحس فيه المرأة بما تحس به أختها من بؤس وشقاء وحرمان.

٣ـ عقم الزّوجة:

قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾[1]. فرغم التقدم الهائل للعلم الحديث في معرفة الكثير من أسباب العقم ووضع علاج لها إلا أنه لم يتغلب عليها تماماً.

وقد يقول قائل: وماذا عن التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب؟ فإنه إضافة إلى المحاذير الأخلاقية والشرعية والتكاليف الباهضة، ليس مضموناً نجاح كل عملية من هذا القبيل. فإذا ابتليت الزوجة بعقم دائم فماذا يصنع الزوج في هذه الحالة:

١/ يرضى بهذا الوضع، ويبقى بدون أولاد وينقطع نسله.

٢/ يطلق زوجته ويتزوج بأخرى.

٣/ يستأجر رحماً وربما بويضات امرأة أخرى.

٤/ يبقي زوجته العاقر ويتزوج بثانية[2].

فأي الحلول أولى أن يؤخذ به؟ لاشك أن الحل الأخير هو الأفضل للزوجة الأولى وللزوجة الثانية وللرجل وللمجتمع .

فالزوجة الأولى سوف تبقى على ذمة رجل، ينفق عليها ويقوم بشئونها ويحميها من إغارات المجتمع التي لا ترحم ، ويكفيها مؤنة أن يقال إنها على ذمة رجل. أما الزوجة الثانية فخير لها أن تكون زوجة ثانية ولاشك من أن تبقى عانساً محرومة من نعمة الزواج ونعمة البيت والأمومة. وخير

---

(١) سورة الشورى ٤٩ – ٥٠.

(٢) لم نذكر هنا الحل لأنه موضوع مختلف.

للرجل لأنه سيرى أولاده من صلبه لا بالتبني ولا بالاستجار، ويكون مطمئناً بأن هؤلاء الذين يدبون على الأرض هم امتداده الطبيعي، وهم الذين يحملون خصائصه وصفاته، وخير للمجتمع حيث أنه حفظ ثلاثة من أفراده من المهانة ومن الانحراف ومن الضياع.

وتردني بهذه المناسبة قصة (علي س.) حيث أنه لم يكتب لزوجته الأولى الإنجاب فطلبت من زوجها أن يتزوج عليها، وأن يسكنها معها في نفس البيت، ولما تبين حمل الزوجة الثانية، لم تطردها من البيت كما فعلت سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام مع هاجر، بل صارت تعتني بها وتساعدها، ولما وضعت حملها قالت: « أنت عليك الحمل والإرضاع وأنا عليَّ العناية والتربية » وهذا ما تم فعلاً، والآن الأولاد يتساءلون: لا ندري من منكما هي أمنا الحقيقية .

٤- ضعف الأولاد وقوتهم:

هناك نقطة مهمة يغفل عنها كثير من الناس وهي إمكانية عدم موافقة ماء الرجل ماء المرأة، وقد توصل العلم الحديث أنه في بعض حالات اختلاف فصيلة دم الزوج والزوجة فإن ذلك يؤثر على النسل.

ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة في المجتمع، فمن الممكن أن ترى زوجاً سليماً، قوي البنية، وزوجة صحيحة قوية الجسم ويأتي نتاجهما مشوهاً. كأن يكون ضخم الجثة، أو ضعيف الجسم، أو عنده زيادة في الأطراف، أو نقصان في الحواس.

وهناك بعض الأمراض الكامنة أو المختفية، وهي قد تكون متخفية في الزوج أو الزوجة أو في كليهما. فإذا ما التقى هكذا زوجان فإن الأمراض التي كانت متخفية فيهما تظهر جلية في نسلهما، وكمثال على ذلك مرض

« الخلايا المنجلية S. Cell الذي يصيب الدم .

وإذا كان هذا الشيء يحدث في الماضي، فيجب الاستفادة من تجارب الماضي، والنظر من خلالها للمستقبل، وسبب ذلك أن الشاب عندما يفكر بالزواج، فإنه في تلك اللحظة لا يفكر إلا في الفتاة التي سيرتبط بها من الناحية الخَلقية والخُلقية، ولا يفكر أبداً في ثمرة ذلك الارتباط، وربما جاءت ثمرة مُرة.

ولا يجب الانتباه إلى جسم النسل فحسب من حيث قوته وخلوه من الأمراض والعاهات، بل يجب الانتباه إلى عقله أيضاً. فهناك بعض الزيجات تنتج نسلاً قوي الجسم خالياً من الأمراض، ولكن ملكاته العقلية غير صحيحة. يعرف هذا المدرسون حيث يلاحظون طلاباً أقوياء ونشطين، ولكنهم لا يستوعبون موضوع القراءة مثلاً، أو ٢ × ٣ = ٦ ولو تكررت عشرات المرات.

هذا ما يجب أن نفعله بالنسبة للمستقبل حتى نضمن نسلاً معافى، قوي الجسم، سليم العقل بإذن الله. ولكن ماذا نفعل بما هو حاصل فعلاً الآن؟ إن هناك:

١/ الاستمرار في إنتاج هذا النسل المشوّه.
٢/ التوقف الكامل عن الإنتاج.
٣/ الإبقاء على الزوجة الأولى والزواج بثانية.
٤/ طلاق الزوجة الأولى والزواج بغيرها.

أما عن الاستمرار في إنتاج ذلك النسل المشوّه فيمكن سؤال أهل ذلك النسل عما يلاقوه من عناء وتعب في تربية طفل معوه، ومع ذلك فما يعانيه الطفل المصاب أشد وأنكى، خاصة عندما يكبر ويتحتم عليه أن يواجه الحياة بنفسه. كما أن التوقف الكامل ليس ممكناً، وإلا لماذا يتزوج الإنسان.

وطلاق الزوجة الأولى والزواج بغيرها هو الحل الأمثل حيث يمكنها هي أيضاً أن تتزوج، ولكن من سيتزوج مطلقة ذات أولاد معوقين في مجتمع يحارب تعدد الزوجات أصلاً؟ أليست هذه حسنة عظيمة من محاسن تعدد الزوجات؟ هي في صالح المرأة قبل أن تكون في صالح الرجل، حيث أن الرجل يمكنه أن يتزوج في أي وقت إذا طلق زوجته، وهذا هو الشرط الوحيد الذي يشترطه كثير من الناس إذا أراد الرجل أن يتزوج ثانية، وهذا هو الطريق الذي يتبعه الغرب الذي يحرم تعدد الزوجات. أما المطلقة فيصبح من شبه المستحيل عليها أن تتزوج ثانية، خاصة إذا لم نعد حساباتنا بالنسبة لتعدد الزوجات.

إذاً وحتى يحين ذلك اليوم الذي ندرك فيه أهمية حل تعدد الزوجات، لا يبقى في يد الرجل إلا أن يتزوج على زوجته الأولى زوجة ثانية تلد له أولاداً أصحاء يخدمون دينهم ووطنهم، ويبقي على زوجته الأولى معززة مكرمة.

٥. مرض الزوجة:

هناك ثلاثة أمراض يمكن أن تصاب بها أو بأحدها المرأة:

أ/ وجود عيب جنسي في جهازها التناسلي كأن تكون مصابة بالرتق، وهو انسداد المهبل، مما لا يتمكن معه الزوج من الإيلاج، أو تكون مصابة بالإفضاء وهو اختلاط مجرى القضيب مع مجرى البول أو الغائط.

ب/إصابتها بمرض مزمن أو معدٍ أو منفر، لا يتمكن معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج.

ج/ إصابتها بالبرود الجنسي أو أمراض الشيخوخة أو الشيخوخة نفسها.

والرجل في جميع ذلك بين حالتين إما أن يطلقها وفي هذا تدمير للمرأة، وذلك لأنه اجتمع عليها بالإضافة للمرض، الطلاق وأنه لا أمل لها في الزواج، فمن سيتزوج ليس فقط مطلقة ولكنها مريضة أيضاً.

الحالة الثانية هي أن يبقيها على ذمته، لها حقوقها كزوجة، ولها عليه ما تحتاجه مما يضمن لها حياة حرة كريمة، وأن يبذل ما في وسعه لكي تشفى من مرضها، وله أن يتزوج بأخرى تعفه ويعفها، وتوفر له ما عجزت الزوجة المريضة من أن تقدمه له. وفي هذا فائدة وأي فائدة للمجتمع حيث يقوم الرجل والزوجة الثانية خصوصاً إذا كانت ذات دين، وكانت ممن يحتسب، بخدمة الزوجة المريضة ومعالجتها، وهذا ربما أعطاها أمل قبل من مرضها بإذن الله.

٦. عودة المطلقة إلى زوجها:

طلق (عبد الله . ز) زوجته بسبب إصرارها على العمل، بعد زواج دام خمس سنوات، وكان ثمرته ثلاثة أبناء. وكما هي العادة تزوج عبد الله بعد فترة قصيرة، أما هي فلم تتزوج، وفي مجتمع يحارب تعدد الزوجات من يتزوج مطلقة؟.

لقد فصلت الآن من عملها، والرجل تزوج بأخرى، وهناك ثلاثة أبناء مقسمين بين الأب والأم. هل من حل وضعي أو تقدمي لهذه المشكلة؟ كلا: إن الحل الوحيد هو الإسلامي؛ حيث يبيح للرجل بأن يحتفظ بزوجته الثانية، ويعيد إليه مطلقته، ولكن هل ترضى النساء بهذا. إن الخطيبة تطلب من خطيبها الذي لم يصبح زوجاً لها بعد أن يطلق زوجته الأولى لكي تقبل به زوجاً، فكيف بها وقد أصبح الآن ملكا لها. أليس في عودة المطلقة إلى مطلقها خير كثير لها ولمجتمعها؟.

٧ـ صلة القربى:

إن الحياة لا تسير كما نشتهي ونحب، ولسنا وحيدين في هذه الحياة، وخصوصاً إذا تخلينا عن أنانيتنا وفرديتنا وأحببنا الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسنا. فكم من قريبة لنا فقدت زوجها وهو في عنفوان شبابه، أو قريبة لنا فاتها قطار الزواج، وأخرى لم توفق في زواجها فطلقت بعد أيام أو أسابيع أو أشهر من زواجها، وأخرى ابتلاها الله بمرض لا تستطيع منه فكاكاً. فما هو الحل لمئات إذا لم نقل آلاف ممن هن في هذا الوضع المؤلم؟ ما هو الحل قولوا لنا يا دعاة تحرير المرأة؟.

إن أقصى ما يمكن أن توفره دور الرعاية والجمعيات الخيرية هو المأكل والملبس، وفي بعض الأحيان المسكن ولكنها لا تستطيع بأية حال أن تقدم العطف والحب والحنان ولا إشباع غريزة الجنس والأمومة، إن الذي يستطيع ذلك هو أخ الزوج أو ابن العم أو ابن الخال أو أحد الأقرباء. أفليس من المروءة والإنسانية والوفاء أن يتزوج الرجل زوجة أخيه المتوفى ليرعى زوجته وأطفاله؟ أليس من الإنسانية والوفاء أن يتزوج من قريبته العانس أو المطلقة؟ أليس من الحب والعطف أن يتزوج من قريبته المريضة، وربما كان سبباً في شفائها.

٨ـ أن يكون الرجل كثير الأسفار:

إذا كان يمكننا أن نغمض أعيننا عن السفر والجنس في السابق، فإنه من الخطأ الجسيم أن نظل نغمضهما في الوقت الراهن.

كان الرجل في السابق ربما يقضي عمره المديد دون أن يغادر منطقته إلى منطقة أخرى، أما اليوم فإن الشاب ربما زار بعض دول العالم بله دول منطقته قبل أن يصل سن البلوغ. إذا عرفنا هذا ونحن نعرف ماذا في دول

العالم أدركنا مقدار الفساد الذي يتعرض له أبناء الإسلام، ومقدار الدمار الذي يحل بأخلاقهم، وهم بدورهم يقومون بنقل ذلك الفساد إلى مجتمعاتهم.

إذا كان يمكن السكوت على ذلك في الماضي حيث كان عند الفرد المسلم بقية من دين تردعه عن الاقتراب من الفواحش فإنه من الخطأ الفادح ألا توضع حلول إسلامية لهذه المشكلة. وهناك نوعان من السفر بالنسبة للمدة:

١ـ سفر طويل المدة، حيث يسافر الشاب للدراسة أو للعمل .

٢ـ سفر قصير المدة، حيث يذهب للترويح والاستجمام.

فالشاب عندما يسافر إلى أي دولة أجنبية ينتشر فيهما التبرج والاختلاط والرذيلة، فله أن يختار إحدى الحالات الآتية:

أ/ يأخذ زوجته معه، ولكن معظم الشباب لا يستطيعون أخذ زوجاتهم معهم لظروف ربما تكون مادية أو اجتماعية[1].

ب/يتبعل ويعصم نفسه، وذلك ليس بمستطاع إلا على من عصم ربي، فهو على شاب في عنفوان شبابه، يرى أنواع الجمال، ومواضع الفتنة عارية، في غاية الصعوبة بل هو أصعب من صعود الجبال[2].

ج/ يزني والعياذ بالله، ومع الأسف الشديد، إن معظم شبابنا يسلكون هذا الطريق، لأنه الطريق السهل الميسَّر الوحيد أمامهم، والسيل إذا سدت منافذه الطبيعية فلابد أن يجد له منفذاً مدمراً، وكذلك القط إذا حشرته في الزاوية أصبح سبعاً ضارياً.

---

(١) لا تدفع معظم الشركات نفقات سفر الزوجة.

(٢) يورد الساعي في كتابه ؛ المرأة بين الفقه والقانون ؛ حواراً مع رئيس قسم الأحوال الشخصية في جامعة لندن يذكر فيه أن الذين يضطرون أنفسهم قليلون جداً.

د/ يتزوج زواج المتعة، وإذا كانت فرقة من المسلمين تحرمه فهناك فرقة من المسلمين تجيزه، ولها أدلتها التي تثبت ذلك، وعلى كلٍ فهو شبهة والزنى حد، وفي القول المأثور: « ادفعوا الحدود بالشبهات » . والحل الأمثل لمن كانت إقامته مدة قصيرة هي أن يضبط نفسه ويصبر، ولكن ماذا يعمل إذا كانت الإغراءات تضغط عليه ضغطاً رهيباً، والمفاتن تلاحقه أينما حل، وتسلبه حتى النوم بله التفكير، وليس كل الناس يوسف الصديق(ع)

هـ/ أن يتزوج بزوجة أخرى، فيعف نفسه، ويحفظ فرجه، ويقي نفسه وجسمه وأسرته؛ حيث أنه سيتقي عذاب الآخرة، ويقي نفسه وبالتالي زوجته الأولى وذريته شر الأمراض الجنسية المعدية.

٩- حب الرجل لامرأة أخرى:

صحيح لقد انتهى عهد مجنون ليلي وعمر بن أبي ربيعة ولكن الطبيعة الإنسانية لم تنتهِ بعد، فمازال هناك أناس يحبون ويعشقون، وخصوصاً في هذا العصر الذي خرجت فيه المرأة إلى العمل وإلى السوق، مما جعل الاختلاط بين الرجال والنساء سهلاً ميسوراً.

وللمعاشرة تأثير خطير في هذا الشأن، فالرجل يقضي مع المرأة ما يقرب من ثمان ساعات في مكان عملها، وهو بالتأكيد أطول من الوقت الذي يقضيه مع زوجته إذا استثنيا وقت النوم الذي ينفصل فيه كل منهما عن الآخر. وبالمعاشرة تنشأ علاقات قوية بين الرجل والمرأة، ويعرف كل منهما أسرار الآخر ويصبح منفتحاً عليه، وربما أعجب الرجل بها أو هي أعجبت به أو كلاهما أعجب بالآخر، فنحن أمام ثلاث حالات:

أ/ كلاهما أعزب ففي هذه الحالة يجب تسهيل زواجهما، وبالتالي القضاء على الفساد، ومصائب الفساد الذي تحل بالمجتمع.

ب/المرأة متزوجة وهذا خطيئة كبرى من أخطاء الاختلاط والعمل المشترك، فالحل في هذه الحالة هو طلاق المرأة وزواجها بمن أحبت وهذه مصيبة، أو طعن لزوجها في ظهره، وهذه كارثة[1].

ج/الرجل متزوج وفي هذه الحالة هناك ثلاثة حلول:

١. أن يتزوج بمن أحب فإنه أعف له، وأكرم لزوجته الأولى، وأطهر للمرأة الأخرى، وأشرف للمجتمع.

٢. يطلق زوجته الأولى لكي يمكنه أن يتزوج بمن أحب. فهل هذا من صالح المرأة الأولى؟ وهل هو من صالح الأولاد والمجتمع؟.

٣. ويحدث هذا عندما تحارب الحلين السابقين وتغلق أمامهما المنافذ، فلا يبقى إلا أن ينفتح الباب أمام اتخاذ الأخدان والخليلات، وتتحول العلاقات من العلن إلى السر. وربما تطورت إلى الانحراف وارتكاب الفاحشة والعياذ بالله، وفي ذلك ما فيه بالنسبة للرجل والمرأة وللأسرة والمجتمع.

فلابد –طال الزمان أو قصر– أن يأتي يوم تنكشف فيه تلك العلاقة المشبوهة، فتسوء سمعة الرجل، وتسقط قيمته عند الناس وعند أسرته. أما بالنسبة للمرأة فتلك كارثة عظمى، ولهذا يجب تحذير أي فتاة من الانخداع بكلام أي رجل، حتى لو أقسم لها أغلظ الإيمان بأنه سيرتبط بها عاجلاً أو آجلاً.

وذلك لأن الانصياع للكلام المعسول الذي لا يغني من الحق شيئاً، وبالتالي الاستسلام ليس معناه تدمير دنيا الفتاة وآخرتها فحسب، بل معناه

---

(١) فكرة زواج المرأة برجلين لا تخطر على بال إنسان سوي، وإن أردت المزيد فاقرأ إن شئت «تعدد الزوجات» للعطار.

أيضاً تدمير أسرتها وأخواتها وقريباتهـا، هـذا إذا لم تنـؤ هـي بـالحمل الثقيـل، وترزح تحت وطأة الآلام والأمـراض، وينفـض هـو ثيابه متنكـراً لأبسـط معاني الإنسانية، بل ويكون مصدراً موثوقاً به لنشر الأكاذيب والافتراءات على الضحية المسكينة. ويا ويل المجتمع الذي توجد به واحدة حصل لها هـذا، فما بـال المجتمع إذا وجدت فيه عشرات.

والحل الأمثل هو ألا يقع في الحب أساساً، فمن يـدري مـا هـي عاقبـة ذلك الحب، فما كل حب ينتهـي بالرفـاء والبـنين، بـل ربمـا انتهـي بالمصـائب والجنون، ولهذا قال (ص): « النظرة سهم من سهام إبليس من تركها لله أبدله الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » .

وهذا هو أحد الأسباب التي دعت الإسلام إلى التشـدد في مجال السـفور والاختلاط وذلك –كما نلاحظ اليوم– لما يسببه من هدم للبيوت وللأخلاق.

أما إذا وقع الفأس في الرأس فالحل الأفضل في هذه الحالة فهو تسهيل زواج قيس وليلـى مـع الإبقـاء علـى الزوجـة الأولى معـززة مكرمـة، لهـا مـن الحقوق ما للزوجة الثانية.

وليـس من الحكمة أن نغمض أعيننا عما يحدث، أو أن نضـع القوانـين الصارمة، والأعراف الجائرة التي تحارب تعدد الزوجات، فالحب لا يمكن منعه بالقوة، وهو كالنهر إن سددت مجراه الطبيعي شق له مجارٍ ملتوية.

وهذا فعلاً ما هو حاصل في الدول التي تحارب التعـدد، حيـث ترتفـع حـوادث الاغتصـاب، وترتفـع نسـبة الطـلاق، وحـوادث قتـل الزوجـات[1]،

---

(١) ذكرت جريدة الأنباء الصادرة في ٥/ ١١/ ١٩٨٥م بأن جيمس بري ٤٤ عاماً قتل زوجته ٥٦ عاماً ليخلو له الجو مع حبيبته الشابة ليندا جراهام. وقالت المدعيـة العامة ديانا كوثن

وغيرها من أساليب التخلص من الزوجة.

وصحافتنا هي مرآة عصرنا، فقد أفردت أبواباً خاصة لحل المشاكل، فلا نسمع إلا شاكٍ من البعد وشاكية، وباكٍ من ألم الفراق وباكية. ومن قائل إن أهله منعوه من الزواج بمن يحب، فهل يهرب معها؟ ومن قائل إن زوجته ترفض أن يتزوج بمن أحب، فهل يخونها؟.

وكمثل من مئات الأمثلة، نورد المشكلة الآتية التي وردت في مجلة زهرة الخليج في ٩/ ٤/ ١٩٨٨م صفحة ١٣ العدد ٤٧٢. وتظهر المشكلة بجلاء قضية حب الرجل لامرأة أخرى، وقضية عودة المطلقة إلى زوجها، ولو لم تكن المشكلة موجودة في المجلة المذكورة لخشيت أن أتهم باختلاقها.

يقول صاحب المشكلة الذي رمز لاسمه (م.ع.ح): "أنا شاب عمري ٢٨ سنة، كنت قد تزوجت منذ سبع سنوات بفتاه عمرها ١٥ سنة، وأنجبت منها ثلاثة أطفال، وعلى إثر خلافات بيننا طلقتها. بعد فترة تقدمت لابنة عمي، وأنا على وشك إعلان زواجي منها اكتشفت أن فتاة أخرى تعرفني معرفة تامة وتحبني بجنون، فقد قابلتها ووجدت نفسي أبادلها نفس المشاعر .. ها أنا الآن أميل إليها، فقد بات قلبي معلقاً بها، ولكنني يا سيدتي -حلالة المشاكل- أعيش في حيرة بالغة .. فهذه الفتاة ملكت فؤادي بعد أن طرقت باب ابنة عمي واتفقت مع أهلها على الزواج .. ولا أعرف كيف

نأت بوي قتل زوجته حتى يسهل عليه العيش مع حبيبته.

كما ذكرت الشرق الأوسط الصادرة في ٢/ ٩/ ١٩٨٦م أن محكمة تونسية قضت بالأشغال الشاقة المؤبدة على رجل حرق زوجته. وقالت الزوجة قبل وفاتها إنها تعرف جيداً أن زوجها تعمد حرقها لعدم موافقتها على زواجه من امرأة ثانية، وقد حاول الانتحار عدة مرات بسبب تعنتها في رفض تلبية رغبته.

أتراجع عن موقفي؟ والأهم من ذلك كله أن زوجتي السابقة التي انفصلت عنها مستعدة للرجوع إليّ مرة أخرى من أجل أطفالنا » .

فردت عليه أم خليفة -وهي حلالة المشاكل- بأن يعود إلى زوجته السابقة فقط أهـ.[1]

ولكنه في هذه الحالة سوف يطلق ابنة عمه ويمرغ سمعتها في التراب، وما مصيره مع الفتاة التي تحبه بجنون والتي ملكت فؤاده؟ أليس في تعدد الزوجات حل يرضي الجميع، فسبحان مَنْ يعلم بقلوب عباده.

١٠- أن يكره الرجل زوجته:

تقوم العلاقات بين بني البشر على الحب والكره، وهي أوضح ما تكون في العلاقات الأسرية، وأوضح ما تكون بين الرجل والمرأة.

وإذا كان من البدهي أن يسود الحب والوئام العلاقات الزوجية ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2].

ولكن لابد لكل قاعدة من شواذ فقد ينقلب الحب الجارف إلى كراهية شديدة بحيث لا ينفع معها علاج التحكيم والطلاق الأول ولا الثاني[3]، وفي هذه الحالة تكون الكراهية بسبب خصال في المرأة لا يحبها الرجل، ويود لو تتخلص منها المرأة، ولكن دون جدوى، ففي هذه الحالة هو أمام أمرين، إما أن يقطع

---

(١) مجلة زهرة الخليج في ٢٢/ ٨/ ١٤٠٨هـ باختصار.

(٢) سورة الروم ٢١.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون.

علاقاته معها البتة، وذلك بالطلاق الذي لا رجعة بعده، أو أن يتزوج عليها، ويبقيها في عصمته، فلربما راجعت نفسها، وأزالت الأسباب التي من أجلها كرهها زوجها. أما إذا كرهها لذاتها ففي هذه الحالة يجب على الزوج التريث والتفكير والرجوع إلى الله تعالى والطمع فيما عنده، فقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[1]. لأنه إذا تزوج عليها في هذه الحالة فإنه سيظلمها حتماً وهذا ما لا يرضاه الخُلُق النبيل فضلاً عن أن يرضاه دين الحق والعدل.

وقد جاء رجل إلى الإمام الحسن(ع) يسأله إلى مَنْ يزوج ابنته؟ فقال له الإمام الحسن: « زوجها إلى ذي الدين، فإنه إن أحبها أنصفها، وإن كرهها لم يظلمها » .

ونحن عندما نفكر أن نصنع خطة لحياتنا، فإننا نفكر بطريقة مثالية، ونضع لها نظاماً غاية في الروعة والإتقان. فرجل أنيق ذو مركز مهني متقدم، ووضع اجتماعي محترم، يتزوج بفتاة غاية في الرقة والجمال ونبل الأخلاق، يعيشان في قصر ترفرف عليه السعادة، ويغمره النعيم، ويحفه الأمن، وينجبان طفلين جميلين ذكر وأنثى فقط لا غير.

هذا هو التصور النظري الذي نضعه للحياة الزوجية، وهو شبه مستحيل التحقيق. فالحياة الواقعية تجبهنا وتكذبنا، وهي كذلك، فهي لا تخلو من مشاكل ومصائب ومفاجئات وميل في القلوب، وإذا كان قد قيل: « الحب يعمي ويصم » فكذلك يمكن القول: « الكره يعمي ويصم » . فنحن في حال الكره ننسى كل الصفات الحسنة التي تتحلى بها الزوجة، وتشغل الصفة الكريهة الوحيدة كل مجالات تفكيرنا، ولا نعد نرى إلا هي حتى أننا

---

(١) سورة النساء ١٩.

نسي قوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[1].

٣- الحروب:

وهذا السبب يفرض نظام تعدد الزوجات الإسلامي فرضاً، فهو الحل الأخلاقي الوحيد لمشكلة زيادة النساء على الرجال[2]، زيادة لا يمكن التغاضي عنها بعد توقف الحرب.

وما أكثر الحروب في عالمنا المنكوب في الوقت الحاضر، وهل ينكر إنسان وجود الحروب، ووجود الحركات التي تقاتل من أجل أحد أهدافها وخاصة في عالمنا الإسلامي، ولا تكاد نشرة أخبار تخلو من ذكر أخبار المواجهات مع ما يسقط فيها من عشرات بل مئات القتلى بله المعاقين.

وإذا كانت الحرب العراقية – الإيرانية قد وضعت أوزارها بعد خمس سنوات طوال من المعارك الشرسة، التي ذهب ضحيتها مئات الألوف من القتلى، حتى قدرت الصحف عدد القتلى بمليون قتيل من الجانبين، هذا عدا المفقودين والمعاقين. فإن الحرب في لبنان وأفغانستان لا تزال قائمة، وبديهي أن الغالبية العظمى من القتلى والمعوقين هم من الرجال[3].

وفي العصر الحديث خاض العالم حربين عالميتين، ذهب ضحيتهما عشرات الملايين من بني البشر، كانت آخرها الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥م

---

(١) سورة النساء ١٩.

(٢) مؤخراً دخلت المرأة الحرب ولكن بنسبة لا تذكر قياساً مع نسبة الرجال ومراكزهم.

(٣) ذكرت الشرق الأوسط الصادرة في ٢٨/ ١١/ ١٩٨٦م بعض الحروب: لبنان ربع مليون قتيل، السودان آلاف القتلى، فلسطين آلاف القتلى، أفغانستان مليون قتيل، وأرتيريا ربع مليون.

والتي راح ضحيتها ١٧ مليوناً من العسكريين و١٨ مليوناً من المدنيين[١]، وإذا حكمنا بتساوي القتلى من المدنيين من الرجال والنساء، وأن الغالبية العظمى من الرجال من القتلى العسكريين، عرفنا الحكمة البالغة من تشريع تعدد الزوجات الإسلامي، واطمأنت قلوبنا إلى أن ذلك التشريع من عند العزيز الحكيم. حيث ظهر بجلاء أن القتلى من الرجال ثلاثة أضعاف القتلى من النساء تقريباً.

وعادة الفطرة السليمة التي لا يخلفها الزيغ والهوى تقود الإنسان إلى الحل الفطري السليم، وهذا ما يظهر جلياً في هذه القضية بالذات؛ فالفيلسوف الإنجليزي سبنسر في كتابه « أصول علم الاجتماع » برغم محاربته لتعدد الزوجات يرى وجوب الأخذ به في أعقاب الحروب[٢].

وفي سنة ١٩٤٨م عقد مؤتمر الشباب العالمي في ميونخ في ألمانيا، وكانت هناك لجنة تبحث زيادة عدد النساء في ألمانيا أضعافاً مضاعفة عن عدد الرجال بعد الحرب، وقد نوقشت عدة حلول، وتقدم الأعضاء المسلمون باقتراح إباحة تعدد الزوجات وقوبل هذا الاقتراح بالهزء والاشمئزاز، وبعد بحث طويل تبين أنه الحل العقلاني الأخلاقي الوحيد، كانت النتيجة أن أقرت اللجنة توصية للمؤتمر بإباحة تعدد الزوجات كحل لتلك المشكلة[٣].

---

(١) الحرب العالمية الثانية وضع رمضان لاوند.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون.

(٣) الزواج الإسلامي أمام التحديات، لمؤلفه محمد علي ضناوي. ويذكر أن ذلك لم ينفذ لأن دول الحلفاء خشيت في حال انتشار ذلك، ألا يجد الرجال متعهم المحرمة التي يجدونها اليوم بغاية اليسر، كما أن فساد الأخلاق كان هدفاً من أهدافهم، ص١٢٦. وقد ذكرت مجلة « الدعوة » أن هناك ١٠٠ ألف بريطاني مما يسمون « بأطفال الحرب » الذين ولدوا بين عامي ٣٩ – ٤٥ قد رفعوا دعوى أمام المحكمة الفدرالية الأمريكية يطالبون فيها بالبحث عن آبائهم من الجنود الأمريكيين.

وفي عام ١٩٤٩م قدم أهالي بون عاصمة ألمانيا الاتحادية طلباً إلى السلطات المختصة بأن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات[١].

وفي سنة ١٩٦١م أرسلت الحكومة الألمانية إلى الأزهر[٢] لكي يطلعها على نظام تعدد الزوجات الإسلامي؛ لأنها تفكر في الأخذ به كحل لزيادة النساء على الرجال، ثم اتصل وفد من العلماء الألمان بشيخ الأزهر لهذه الغاية، والتحقت بعض الألمانيات المسلمات بالأزهر للاطلاع على ذلك. ولكن الحكومة الألمانية تخلت عن الفكرة بعد ذلك، وذلك للضغوط التي مارستها عليها الحكومة الأمريكية والحكومات الأوروبية الأخرى.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وليس الذكر كالأنثى

يقول أنصار تحرر المرأة: إن المرأة لا تختلف في شيء عن الرجل، بل هي مساوية له في كل شيء حتى في القوة البدنية، والعضلات المفتولة، والعنف المميز، وقد كان شقا الإنسان عند الإنسان الأول –الإنسان البدائي– متماثلين تماماً، ولكنه بعد ذلك فرض على المرأة أن تبقى في البيت لتقوم بالطبخ والكنس وأعمال البيت الأخرى، مما ليس معه داعي لاستعمال العضلات والعنف والخشونة، ومع مرور الوقت ضمرت عضلات المرأة، كما ضمر الذيل عندما تحول القرد إلى إنسان، وفي نفس الوقت اكتسبت المرأة العاطفة الجياشة، والقلب الحنون، والملمس الناعم.

لم يكن هذا الكلام المعسول يمر على من له أدنى وعي أو ملاحظة، إلا من كان في قلبه مرض، وفي نفسه غاية. يريد من هدم الاختلاف بين الذكر والأنثى أن يختلط الحابل بالنابل، وبالتالي فهو يصيد على هواه ومشتهاه.

فالاختلاف بين الرجل والمرأة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وإذا أمكن لأنصار تحرر المرأة في السابق التدليس والتبرير لتعليل الاختلاف بين الرجل والمرأة فقد جاء العلم الحديث الذي يدّعون بأنهم أحق به وأهله، ليكذب دعواهم ويثبت بطلانها، وليبين بما لا يدع مجالاً للشك، بأن الاختلاف بين الرجل والمرأة ليس في الأعضاء الخارجية فقط، وإنما الاختلاف في كل شيء.

فقد كتبت جريدة الشرق الأوسط عن ظهور كتاب جديد يتكلم عن الاختلاف بين الرجل والمرأة، ويعرف مؤلفا الكتاب الدكتورة آن موير أستاذة علم الوراثة وديفيد جيسيل الصحفي أن الهيئات العلمية تكتمت على

معلومات خطيرة وهامة عن الفرق بين مخ الأنثى ومخ الذكر، خوفاً من أن يرمي النساء وأنصار التحرر العلم والعلماء بالتخلف والرجعية.

يقول الكتاب: « الحقيقة هي أن الفرق بين الذكر والأنثى يبدأ قبل أن يخرج الجنين إلى الحياة، كمبيوتر صغير يحدد معالم السلوك والمهارات والهوايات، هذا الكمبيوتر هو جزء من تركيبة المخ عند الجنين، وهو الذي يتحكم في الميزان الهرموني عند كليهما » ، ويضيف مؤلفا الكتاب: « إن حركة تحرير المرأة لم تخدم المرأة؛ لأن الجهل بتلك الفروق البيولوجية، أو محاولة إنكار وجودها قد شكل تحدياً نفسياً ومعنوياً لشريحة كبيرة من النساء في العالم » . ويستشهد المؤلفان بما قاله البروفسور الأمريكي ليونيل تايجر أستاذ الأنثروبولوجيا من أن الإصرار على إلغاء الفروق بين الجنسين قد أدى إلى مزيد من الانفصال بينهما، فقد أصبح لزاماً على المرأة أن تتكيف مع متطلبات الانتماء إلى عالم الجنس الواحد (Unisex) .

وهذا ما أكدته مجلة (الآن) العلمية عدد يوليو – أغسطس ١٩٩٢ حيث قالت: « وفي ميدان الأعصاب أشار بحث –علماء الأعصاب البيولوجيون– بقوة إلى أن الفروق في الجهاز العصبي تبدأ مع انغمار الجنين في الرحم بالهرمونات الجنسية، ثم تستمر هذه الفروقات الهرمونية أثناء الطفولة ولعلها تستمر بعد ذلك أيضاً مؤثرة بالتالي على نشاط الدماغ والسلوك » .

وكان الدكتور الكسيس كاريل المتوفى سنة ١٩٤٤ قد ذكر في كتابه القيم « الإنسان ذلك المجهول » أن تركيب خصائص الذكر يختلف عن تركيب خصائص الأنثى، وجاء العلم الحديث ليثبت صحة ما ذهب إليه؛ فقد ذكرت مجلة (المجلة) في ٢٥/ ٦/ ١٩٩٥ « ضربة قاصمة وجهها العلم مؤخراً لكل الداعين للمساواة بين الرجل والمرأة، فبعد عشرات السنين من المعارك الفكرية والسياسية التي نادى فيها مصلحون وكتّاب وفلاسفة بأن المرأة وإن

اختلفت عن الرجل في بعض الوظائف الفيزيولوجية إلا أنـه لا يتميـز عنهـا في الوظائف الذهنية والعقلية، غير أن الدراسات الحديثة تؤكد وجود اختلافـات جذرية بين الجنسين، تجد أصولها في أعمق أعماق تلك الكتلة الهلامية الرخـوة من الأعصاب والمحفوظة بين عظام الجمجمة الصلبة »[1].

وكان العلماء والمفكرون يعتقدون أن ميل الأطفال الذكور إلى العمل والصراع وميل الإناث إلى إدارة البيت والسكينة يعود إلى طريقة التربية الـتي كانت سائدة في الماضي ولكـن بعـد عشـرات السـنين مـن عـدم التفرقـة بـين الجنسين وخاصة في المجتمع الأمريكي جاء من يقول: « الاختلافات الســلوكية بين الأطفال الذكور والإناث والخاصة بطريقـة اللعـب وبـالميول المزاجيـة تجاه نوع من النشاط أو آخر حيرت العلماء لوقت طويل، فبينما يجنح الأولاد لألعـاب المطاردة والتقصي والدخول في معارك وهمية، تميل الفتيات لرمي المكعبات الملونـة واللعب بالدمى وعمل تمثيليات اجتماعية تأخذ فيها البنت دور الأم أو ربة البيت.

وتضيـف الصحيفة قائلة: « الاكتشافات الأخـيرة لا تتعلـق فقـط بفـروق

---

(١) بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة جاء العلم ليؤكد ما صرح به القرآن الكريم من الاختلاف بين مخ المرأة ومخ الرجل، حيث قال في سورة آل عمران: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ وقال في سورة البقرة آية ٢٨٢: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾. وقد استغل الجهلة هـذه الآية أبشـع اسـتغلال في التشـنيع على الإسـلام واستفزاز النسـاء تجاه الدين الإسلامي، وجاء أسيادهم وأئمتهم بعـد أكثـر مـن أربعـة عشر قرناً ليثبتوا بـالدليل القـاطع صحـة مـا ذهـب إليـه القـرآن الكريـم مـن وجـود الاختلاف بين مخ المرأة ومخ الرجل، وبالتالي لزوم وجوب الاختـلاف في الوظـائف. ولو كنت مغرراً بي وعرفـت هـذه الحقيقـة لما ترددت لحظة في أن أعـود إلى ديـني، وأطبق أحكامه، وأسارع إلى تنفيذ أوامره والابتعاد عن نواهيه، بكل فخر واعتزاز.

تركيبية بين دماغ الرجل والمرأة، فمن حوالي عقد من السنوات تواكم الأدلة عند علماء الأعصاب على وجود اختلافات تشريحية بين الاثنين. الصعوبة التي كانت تواجه الباحثين في هذا المضمار تمثلت في صعوبة إثبات أن الرجال والنساء يفكرون بطريقة مختلفة، بعبارة أخرى فإن العلم لم يقطع بأن الاختلافات التشريحية تعني تبايناً في النشاط الذهني. تقنيات التصوير الإشعاعي المتطورة مثل الأجهزة المعتمدة على الرنين النووي المغناطيسي، أو انبعاث البوزيترونات أتاحت للعلم فرصة نادرة ومكنته من رصد التغيرات الطفيفة في المخ بل وتسجيل لحظات التفكير والتذكر والشعور وتصوير الدماغ وهو يقوم بكل هذه الأنشطة.

وفي مطلع هذا العام -١٩٩٥- سجلت دراسات أن الرجال يستعملون مجموعات من الخلايا العصبية تختلف عن تلك التي تستعملها النساء في خطوات القراءة الأولى أو عند الاسترخاء، وفي دراسات أولية جاء أن النساء يستعملن جزءاً أكبر من المخ عند الشعور بالحزن، فيما يستعمل الرجال أجزاءاً أكبر عندما يحلون معضلات الرياضيات. ويؤكد الباحثون الذين أجروا هذه الدراسات في جامعة كاليفورنيا أن الدلائل المتوافرة حتى الآن تقطع بأن المخ يعمل بطريقة مختلفة لدى كل من الجنسين[1].

---

(١) أليست مسألة الدين التي اشترط الله العليم الحكيم فيها شهادة رجلين أو رجل وامرأتين من المسائل الرياضية التي هي من اختصاص الرجال أكثر مما هي من اختصاص النساء كما أثبتت الدراسات العلمية المذكورة أعلاه، وصدق الله العظيم إذ قال جلّتْ قدرته: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حتّى يتبينَ لهم أنّهُ الحقُ، أولم يكفِ بربّكَ أنّهُ على كُلِ شيءٍ شهيد﴾ فصلت ٥٣. فقد نبت الإسلام على المبدأ الذي قرره منذ أكثر من ١٤ قرناً بينما بدأ أعداؤه يتراجعون حين أثبت لهم العلم أن الإسلام هو الحق وأن ما زعموا سابقاً أنه علم لم يكن إلا باطلاً. تقول (المجلة) عدد ٨٠٢: «دراسات الدماغ المبنية على التصوير الإشعاعي تعتبر أحدث وسيلة

كما أن طريقة تعامل الدماغ مع الحزن تختلف لدى الجنسين، ففي المعهد الأمريكي الوطني للصحة العقلية تم رصد وتصوير مخاخ رجال ونساء طلب منهم التفكير في ذكريات محزنة، وتذكر أعزاء رحلوا عن عالمهم. فظهر نشاط واضح لدى الجميع في المنطقة ذاتها من المخ، ولكن الفرق في ذلك هو أن المساحة النشطة لدى النساء كانت أكبر بثماني مرات »[1].

لقد قال الفيلسوف الألماني شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠) منذ زمن بعيد: « إن قوانين الزواج في أوروبا قوانين فاسدة بمساواتها المرأة بالرجل، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدت الرجال نصف حقوقهم، وضاعفت على النساء واجباتهن. وإذا كانت هذه القوانين قد منحت المرأة حقوقاً مثل الرجل، فعليها أيضاً أن تمنحها عقلاً مثل عقله » .

والاختلافات بين الرجل والمرأة يستحيل إخفاؤها، وهذا ما حاول أدعياء العلم عمله في السابق، وشنوا على الإسلام وعلى بني الإسلام حملة شعواء واتهموه بالتمييز بين المرأة والرجل، وأخيراً جاء العلم ليفضحهم

للنظر في الفروق بين الجنسين. ومهما كانت درجة ارتباطها بالمعايير العلمية الدقيقة فإنها تزود الجدل الدائر حول الفروق بين الرجال والنساء بوقود ملتهب خاصة مع مخاوف النساء من فقدان المكاسب التي حققنها في السنوات الأخيرة؛ إذ جاء العلم ليقرر أن هناك اختلافات حقيقية بين الذكور والإناث تؤثر على كفاءتهما في المجتمع.

مثل هذه الضربات القوية للمساواة بدأت تتواتر في السنوات الأخيرة، وكتاب (المخ والجنس) الذي أصدره آن موير وديفد جيسل عام ١٩٩١ وردت به كثير من النصوص في هذا الاتجاه؛ إذ قرر المؤلفان أن « ذهن الرجل يصعب التشويش عليه بأفكار ومعلومات سطحية أو زائدة » ، وأن « المرأة قد تكون أقل قدرة على فصل العقل عن المشاعر » ، وأن « عقل الرجل أكثر تنظيماً » .

(١) مجلة (المجلة) عدد ٨٠٢، في ٢٥/ ٦/ ١٩٩٥.

ويثبت صدق الإسلام ونبي الإسلام، ويثبت أن الاختلاف ليس فقط في الشكل الخارجي، وإنما يمتد الاختلاف إلى أعمق الأعماق حتى يصل إلى مركز القيادة في الإنسان وهو المخ. فسبحان القائل: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[1]. والجدول الآتي يوضح بعض الاختلافات بين الذكر والأنثى:

		ذكر	أنثى
(١)	الدماغ (جم)	١٣٧٥	١٢٦٠
(٢)	القلب (جم)	٢٧٠	٢٦٠
(٣)	الخلايا (نسبة الشحم)	١٥-٢٥	٢٠-٣٠
(٤)	الطول (سم)	١٧٢	١٥٧
(٥)	البلوغ (سن)	١٥-١٨	٩-١٢
(٦)	متوسط العمر (سنة)	٦٨	٧٥
(٧)	العدد جنس	٩٦	١٠٠

١) الدماغ: المصدر كتاب (أرقام في جسم الإنسان) لمحمد المحب، ولأن الدماغ هو الذي يحدد السلوك الإنساني، وهو الذي يوجه بقية الأعضاء فقد أوردنا فيما سبق من صفحات آخر ما توصل إليه العلم في مجال الكشف عن الأسرار التي أودعها الخالق جل وعلا في الدماغ.

٢) القلب: المصدر كتاب (رحلة الإيمان في جسم الإنسان) لـ د. حامد محمد حامد. والقلب هو العضلة التي تضخ الدم وبالتالي الغذاء مصدر

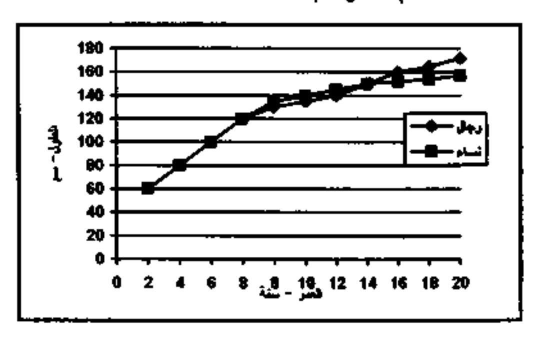
---

(١) سورة القيامة ٣٦ – ٤٠.

الطاقة إلى أنحاء الجسم، وقلب أكبر معناه طاقة أكبر.

٣) الخلايا: المصدر مجلة (يو. أس. نيوز أندورلد ريبورت) في ٢/ ٦/ ١٩٨٦، وكمثال لوردنا نسبة الشحم -هناك اختلاف بين الشحم والسمنة- في كل من الرجل والمرأة، والشحم هو الذي يعطي المرأة مظهرها الأنثوي الجذاب، ويمنح جلدها الرقة والنعومة والنضارة. أما بالنسبة لمختلف الخلايا فيقول د. الكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): « والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ».

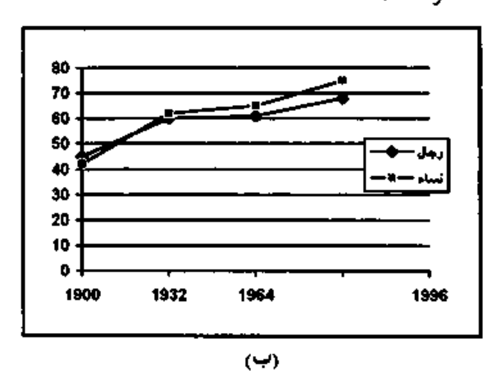
٤) الطول: المصدر كتاب (بيولوجيا الإنسان) لسيلفيا مادر، ويلاحظ من الرسم البياني (أ) أن البنات يتفوقن على الأولاد في الطول عند بلوغهن سن البلوغ، ولكن الأولاد يعودون ويتفوقون عليهن عند بلوغهم سن الرجولة، مما يعطي الرجل جسماً أضخم بشكل عام.



(أ)

٥) البلوغ: المصدر كتاب (وليس الذكر كالأنثى) لمحمد عثمان الخشت.
والبلوغ هو العمر الذي يبدأ به التكليف الشرعي، ويتوجب فيه الفصل بين الولد والبنت، ومن علاماته الشرعية ظهور الشعر في الأماكن الحساسة وتغير الصوت والاحتلام. ويلاحظ أن البنت تصل إلى سن البلوغ قبل الولد بست سنوات تقريباً.

٦) العمر: المصدر كتاب (بيولوجيا الإنسان) لسيلفيا مادر، وجريدة اليوم عدد ٥٠٤٠. ويلاحظ من الرسم البياني (ب) أن هناك فارقاً في العمر يصل إلى ست سنوات لصالح النساء، وتقول مجلة (زهرة الخليج) عدد ٣١/ ١٠/ ١٩٩٢: « كل الدراسات والإحصائيات تؤكد أن النساء أطول عمراً من الرجال، ففي فرنسا على سبيل المثال حيث عدد النساء يزيد على عدد الرجال بواقع ١,٥ م.ليون امرأة يزيد متوسط عمر المرأة على متوسط عمر الرجل ٨ سنوات » .

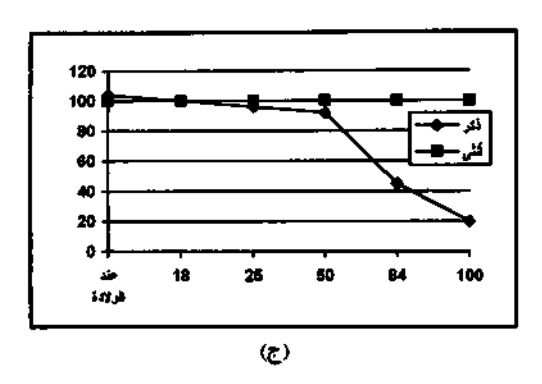


(ب)

٧) العدد: المصدر السابق: (.Hunan Biology By Sylvia S)

Mader) وتضع مادر جدولاً يوضح أنه عند الولادة يزيد عدد الذكور زيادة طفيفة عن عدد الإناث، ولكن بسبب زيادة معدل وفيات الذكور عن وفيات الإناث تنعكس الزيادة، وعند سن التزاوج تكون هناك أربع نساء زائدات عن عدد الرجال في كل مئة من النساء. وتقول مجلة (زهرة الخليج) العدد السابق إن « عدد النساء اللاتي تجاوزن الخمسين من العمر يزيد بوضوح على عدد الرجال الذين يماثلوهن في العمر، وعلى مر الأعوام تزداد الظاهرة جلاءً حتى نصل إلى السن بين ٨٠ و ٨٤ وهنا نجد عدد النساء قد بلغ ضعف عدد الرجال، أما فوق ٩٥ فعدد النساء يصبح أكثر بخمس مرات » .

ذلك بالنسبة للعالم الغربي، والوضع بالنسبة للعالم العربي أسوأ، فقد ذكرت جريدة اليوم قائلة: « أظهرت إحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء البحريني أن نسبة الوفيات بين المواليد الذكور في البحرين أكثر منها بين المواليد الإناث برغم أن عدد المواليد الذكور أكبر من عدد المواليد الإناث حتى سن العاشرة من العمر، وأوضحت أنه بعد السنة الحادية عشر يكاد أن يتعادل عدد الذكور والإناث » . مما يعني أن عدد الإناث يبدأ في الزيادة بصورة طبيعية -عدا الحوادث والمغامرات- عند تلك السن المبكرة، بينما يتعادل عدد الإناث وعدد الذكور في الغرب عند سن الثامنة عشرة، وعند سن الخامسة والعشرين يزيد عدد الإناث أربعة في كل مئة، فكم يا ترى هي الزيادة عندنا وخصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار ارتفاع نسبة الحوادث عندنا التي يروح ضحيتها شباب من الذكور في أغلب الأحيان. والرسم البياني (ج) يظهر عدد الرجال لكل ١٠٠ من النساء مع تقدم العمر.



(ج)

إن الفروقات بين الرجل والمرأة أوضح من أن تخفى، وإنما أوردنا الفروقات السابقة لنبين بما لا يدع مجالاً للشك الحكمة البالغة التي أرادها الخلاّق العظيم من خلق الذكر والأنثى، والتشريع الحكيم بإباحة التعدد للرجال. فلو أخذنا حجم جسم الرجل لكفى، فالمعروف أن جسم الرجل أكبر من جسم المرأة بشكل عام، وكبر الجسم يستتبعه كبر حجم الأعضاء.

ولو غضضنا النظر عن الفروقات العضوية والتشريحية، فهل يمكننا غض النظر عن الواقع فنكون كمن يدس رأسه في التراب؟. إن الله جلت حكمته حين جعل الذكور أقصر أعماراً، انظر الرسم البياني (ب)، وأقل عدداً انظر الرسم البياني (ج)، وأبطأ بلوغاً حيث تصل الفتاة إلى سن البلوغ، خصوصاً هنا في المناطق الحارة، في سن ٩ سنوات، بينما يتأخر عنها الشاب سبع سنوات، إن تراكم كل تلك الفروقات يجعل عدد النساء يزيد زيادة كبيرة على عدد الرجال، هذا على المستوى الطبيعي، أما إذا أخذنا الظروف الصناعية بعين الاعتبار فإن العدد سيتضاعف، وأقرب مثل على ذلك هو حوادث السيارات، فإذا كان في دولة متقدمة مثل ألمانيا « تشير الإحصاءات التي قدمتها إدارة الإحصاء الاتحادية إلى أن عدد حوادث المرور التي جرت في

ألمانيا خلال عام ١٩٨٦ بلغت حوالي ٤٣٢ ألف حادثة لم تتجاوز نسبة النساء السائقات فيها أكثر من ٩٣ ألف حادثة أي حوالي ٢٠٪ فقط »[1].
فمعنى هذا أن نسبة الحوادث التي ترتكبها النساء في الدول العربية لا تكاد تذكر بالنسبة للحوادث التي يرتكبها الرجال، فإذا علمنا أن آلاف الأرواح تذهب سنوياً بسبب حوادث السيارات فقط، وعلمنا أن الغالبية العظمى هم من الشباب الذكور، علمنا أي تشريع هو تشريع تعدد الزوجات الإسلامي.
والجدول الآتي يوضح مدى الخسائر في الأرواح في دول مجلس التعاون الخليجي في عام ١٩٩٤:

الدولة	عدد الحوادث	عدد القتلى
السعودية	١٢٥,٣٣٣	٣٢,١٣٣
الإمارات	١٢١,١٥١	٧٩٨
عمان	١١,٠٥٦	٤٩٧
الكويت	٢١,٦٨٨	٢٨٨
قطر	٣١,٦٢٦	١٠١
البحرين	٣١,٠١٩	٦٠

المصدر جريدة الشرق القطرية عدد ٢٦٤٣٠، في ١/ ٦/ ١٩٩٥.

فإذا علمنا أن نسبة النساء اللواتي يقدن السيارات في دول الخليج نسبة ضئيلة، وتنعدم تماماً في السعودية، علمنا أن معظم القتلى هم من الرجال.

إن كل الدلائل السابقة تعطي الرجل الحق في أن يتزوج أكثر من

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، في ٢٩/ ٤/ ١٩٨٨.

واحدة سواءاً كنا مؤمنين وقلنا أن الله سبحانه وتعالى أعطى الرجل هذا الحق، أو كنا علمانيين وقلنا إن الطبيعة هي التي جعلت الرجل هكذا. فكبر جسم الرجل وبالتالي كبر بقية أعضائه، وقوة عضلاته بما في ذلك عضلة القلب، واختلاف طريقة تفكيره كما أثبت العلم[1]، بالإضافة إلى قصر عمر الرجال وزيادة أعداد النساء[2]، كل تلك أدلة داحضة، وما يجرى على الأرض الواقع من كوارث ومصائب أدلة أخرى لا يخفيها الدجل ولا الخداع ولا الكلام المعسول.

---

(١) مجلة (أسرتي) عدد يوليو ١٩٩٥.

(٢) ذكرت جريدة الرياض عدد ٧٠٧٥ أن عدد النساء في الولايات المتحدة يزيد عن عدد الرجال بـ ٦ ملايين أي بفارق ٢,٥٪.

كوارث محاربة التعدد

إن الذين يحاربون التعدد صنفان من الناس:

١- الرجال الذين في قلوبهم مرض.

٢- النساء المتزوجات.

وكلاهما صاحب مصلحة في محاربته للتعدد، فهو لا يحارب تعدد الزوجات للمصلحة الاجتماعية كما يدعي وإنما يحاربه لمصلحة شخصية بحتة. فالرجال الذين في قلوبهم مرض يعرفون حقيقة أنه إذا حظر التعدد انتشر الزنى[1]، وإذا انتشر الزنى قلت هيبة الشرع وتراخى تنفيذ الحكم الشرعي وأمكن لمرضى القلوب والنفوس أن يختاروا من النساء المضحوك عليهن من دون خوف ولا وجل ولا قيد ولا شرط ولا تحمل أي مسئولية ولا أعباء.

أما النساء المتزوجات فكل الذي يهمن هو مصلحتهن الشخصية، فالواحدة منهن قد ضمنت زوجاً وبيتاً وأولاداً، فلم تعد تحس بأخواتها أو بناتها في تلبية رغبتهن الطبيعية في أن يكن مثل بقية خلق الله ويكن لهن أزواجاً وذرية، كما أنهن يشاركن أعداء دينهم في الحرب الشعواء التي يشنونها على الدين الإسلامي، بينما المفروض فيهن إذا كن مسلمات عاقلات أن يفعلن العكس، فإذا كان أعداء الدين الإسلامي يحاربون التعدد لغاية في أنفسهم، فعلينا نحن أن نشجع التعدد لنبطل تلك الغاية وحتى ولو لم ندركها، فكيف وقد أدركناها وعرفنا كثيراً من المآسي والمشاكل والويلات

---

(١) كتاب (زوجة واحدة لا تكفي) لعماد الدين حسن، ص٣٤ وما بعدها.

التي يعاني منها الغرب، فهاهي إحدى السيدات البريطانيات تقول: « لقد كثرت الفتيات الشاردات من بناتنا، إن قلبي يتقطع عليهن شفقة وحزناً، ولكن ماذا عسى أن يفيدهن ذلك حتى لو شاركني فيه الناس جميعاً؟ »[1].

وليت الأمر اقتصر على ذلك فللحرب على تعدد الزوجات نتائج وخيمة لا يعلمها إلا من شرع التعدد، وقد بدأت نتائج تلك الحرب تظهر على سلوكيات المجتمعات الحديثة، التي تنشر وتذيع وتعرض حياة قمة في الروعة والمثالية، بينما هي تتخبط في وحل التيه والضياع والفاحشة والجريمة، والواقع خير شاهد على ذلك. ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾[2]. فمما تلاقيه المجتمعات من مصائب ومشاكل لا تجد لها حلاً:

أـ كثرة العوانس:

يقول الشيخ متولي الشعراوي: « هل يمكن أنه يوجد تعدد من الرجل إلا إذا وجد فائض من النساء؟ ... الإحصاءات تدل على أن عدد النساء أكبر من عدد الرجال، وفي كل أنواع المخلوقات عدد الإناث أكثر »[3]. وقد أوردنا فيما سبق من صفحات أمثلة على زيادة عدد النساء على عدد الرجال، كما أثبت العلم الحديث أن الأطفال الذكور أقل مقاومة للأمراض من الإناث[4]، وبسبب ذلك يصل النقص في الرجال من ٥ – ١٥ في المئة بالنسبة للنساء عند سن الزواج.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٣.

(٢) سورة المائدة ٥٠.

(٣) كتيب (المرأة كما أرادها الله) للشيخ محمد متولي الشعراوي، ص٥٢.

(٤) انظر كتاب (Human Boilogy by Sylvia S. Mader).

وكمثال على زيادة على الإناث على الذكور وبالتالي زيادة العوانس في العالم العربي حال تقليد القوانين الوضعية التي تمنع العدد[1] نورد جدولين، الأول من مصر والثاني من الكويت:

المحافظة	عدد الذكور	عدد الإناث	زيادة الإناث
كفر الشيخ	٤٨٣٠٠٠	٤٩٠٠٠٠	٧٠٠٠
بني سويف	٤٢٢٠٠٠	٤٣٧٠٠٠	١٥٠٠٠
أسوان	١٨٩٠٠٠	١٩٦٠٠٠	٧٠٠٠

المصدر: كتاب تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية لعبد الناصر العطار. تعداد عام ١٩٦٠.

الكويت	٢٩٦٩٣	٣٠٨٤٥	١١٥٢
حولي	١٢٩٠٧٧	١٢٩٨٤١	٧٦٤
الأحمدي	٧٣٤٢٥	٧٤٤٠٤	٩٧٩
الجهراء	١٠٦٦٠١	١٠٧٤٠٢	٨٠١

المصدر: كتاب الإحصاء العام، الكويت تعداد عام ١٩٨٥.

وزيادة الإناث على الذكور أمر معروف على مستوى العالم، فقد أوردت جريدة اليوم في ١٥/ ٣/ ١٤٠٨هـ - ٦/ ١١/ ١٩٨٧م خبراً طريفاً، حيث ذكرت أن الصحفي كلود شول سأل خبير الدراسات الإحصائية في مكتب الإحصاء الفدرالي ابد بارلي قائلاً: لو كنت سيدة تبحث عن زوج فإلى أي من الولايات الخمسين تذهب؟ فذكر له بارلي خمس ولايات

(١) أوردت جريدة اليوم في ٢٩/ ٨/ ١٩٩٤ عن زوجة ياسر عرفات قولها: « وموضوع تعدد الزوجات في القرآن لم يعد صالحاً الآن .. وإذا كان لا يمكن منع تعدد الزوجات فسنجعل صعوبات جمة أمام الطلاق » .

فقط يزيد فيها عدد الرجال على عدد النساء بنسبة ٣ - ٠,٥ في المئة وهي: الاسكا، نيفادا، كارولينا، هاواي، وايوا، ومعنى هذا أن النساء يزدن على الرجال بنسبة ٤ - ١١ في المئة في ٤٥ ولاية[١].

ك زيادة المطلقات:

من الأمراض الخبيثة التي وصلت فيما وصل إلينا من الغرب انتشار ظاهرة الطلاق، وقد ذكرت أسباب كثيرة لتفشي تلك الظاهرة الخبيثة، وعادة ما يغفل السبب الرئيسي، وهو تصادم الإرادات. فالرجل يمتلك إرادة والمرأة تمتلك إرادة، فإذا حاول كل منهما فرض إرادته فعند ذلك يحدث تصادم الإرادات وتتصدع الأسرة وتتحطم.

ولهذا وحفاظاً على هذا الكيان الثمين من التصدع والانهيار فرض الإسلام قوامة الرجل حيث قال العزيز الحكيم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم﴾، فعندما كان الناس يعملون بمقتضى هذه الآية ويخشون الله بالغيب لم يكن يحصل الطلاق إلا نادراً[٢].

ولسنا هنا بصدد مناقشة الطلاق، فالطلاق وقع وانتهى ولابد للمطلقة من حل، ويبدو أن زوجة عرفات أدركت الحل الطبيعي الذي ينهي

---

(١) ذكرت جريدة الهدف عدد ١٢/ ١/ ١٤١٦هـ - ١٠/ ٦/ ١٩٩٥م أن آخر تقرير حديث للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر إلى أن عدد الفتيات المصريات اللاتي تجاوزن سن الثلاثين بدون زواج بلغ ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف فتاة، وكانت الهدف قد ذكرت في عدد ٢/ ٧/ ١٩٩٤ أن أكثر من ٩٠٪ من خريجات الجامعات عانسات، وتعاني دول الخليج نفس المشكلة.

(٢) الآية ٣٤ من سورة النساء، وبقية الآية: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ، واللاتي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهن .. ﴾.

معاناة المطلقة ولهذا قالت: « وإذا كان لا يمكن منع تعدد الزوجات فستجعل صعوبات جمة أما الطلاق » [1]. والغريب فيمن يحاربون التعدد أنهم وأنهن يعرفون الحل لمشكلة العوانس والمطلقات ولكنهم لا يبصرون؛ لأن كل همهم هو منع التعدد بغض النظر عما يخلفه ذلك من مشكلات.

ففي دراسة قامت بها أربع باحثات من وزارة العمل والشئون الاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة، دعت الباحثات « إلى إصدار قانون يمنع زواج المواطن من أجنبية، كما يمنعه من الزواج ثانية إلا بإذن شرعي » [2]. وقد طالبن بمنع تعدد الزوجات لأنه أحد أسباب الطلاق.

وفي نفس تلك الدراسة تقول الباحثات: « إن نصف حالات الزواج ينتهي بالطلاق » أي أن نسبة الطلاق بالإمارات هي ٥٠٪، بل وصلت إلى ٧٥٪ في إمارة رأس الخيمة[3]. وبما أنهن يوصين بمنع تعدد الزوجات فما مصير هذا العدد الكبير من المطلقات؟.

وإذا علمنا أن النسبة في بقية دول الخليج ذات الظروف المتشابهة وصلت إلى ٣٠٪[4]، وإذا علمنا أن زواج الغير متزوج بمطلقة أمر نادر الحدوث علمنا أي كارثة تحل بالمطلقات في حالة منع التعدد أو محاربته.

---

(١) مجلة المجتمع، عدد ١١٦٢. وقالت أن مهى الطويل مسيحية أسلمت بعد زواجها من عرفات.

(٢) مجلة كل الأسرة، في ٤/ ١/ ١٩٩٥. وعلقت المجلة على الدراسة قائلة « ما لم تقله الدراسة، وهو أمر مهم وضروري جداً، هو ضرورة بث وعي جديد وناضج لدى المرأة والرجل عن أهمية مؤسسة الزواج وحقوق كل منهما في إطارها، وإذا لم تكن حقوقهما تستحق التضحية، فحقوق الأبناء لعلها تستحق التضحية والتنازل في حدود الممكن » .

(٣) مجلة زهرة الخليج، عدد ٣٦٢، في ٢٠/ ٦/ ١٤٠٦هـ - ١/ ٣/ ١٩٨٦م.

(٤) مجلة زهرة الخليج، عدد ٣٦٢، في ٢٠/ ٦/ ١٤٠٦هـ - ١/ ٣/ ١٩٨٦م.

٣ـ بقاء المطلقات والأرامل دون زواج:

في رسالة إلى إحدى الصحف المحلية تقول نجوى محمد سعد: « الموضوع الذي أعرضه في رسالتي هذه لا يخصني وحدي، بل إنه مشكلة تعاني منها أعداد كبيرة من السيدات قليلات الحظ.

فأنا سيدة أبلغ من العمر ٢٨ عاماً، خريجة جامعة وأعمل في وظيفة محترمة، وانتمي لوسط عائلي أكثر من ممتاز، ومشكلة حياتي الآن أنني أحمل لقب مطلقة منذ ١٥ عاماً، ولاحظت أنني بسبب هذا اللقب يجب عليَّ أن أضحي بأشياء كثيرة.

المهم وجدت أنه خلال الـ ١٥ عاماً التي حملت فيها هذا اللقب أن كل من يتقدم للزواج مني يكون متزوجاً ويريدني أن أكون الزوجة الثانية له » .

فإذا علمنا أن الآنسة التي تعدى سنها ٢٥ عاماً يكون حظها في الزواج من شاب لم يسبق له الزواج ضعيفاً علمنا أي أمل لسيدة ومطلقة وتبلغ من العمر ٢٨ عاما. والمشكلة لا تخصها لوحدها كما قالت بل تعانى منها أعداد كبيرة من السيدات.

وإذا قلنا بالمساواة في المسئولية بالنسبة لكارثة الطلاق، فهل يمكننا أن نقول بذلك عن الأرامل؟ما ذنب السيدة الشابة التي توفي عنها زوجها وهو على رأس العمل يؤدي واجبه تجاه دينه ووطنه، أو ذاهب إلى عمله أو جامعته؟ وعلى سبيل المثال يوضح الجدول الآتي ضحايا الحوادث لعامي ١٩٩٠ و ١٩٩١ في دولة الإمارات:

١٩٩٠		١٩٩١	
ذكور	إناث	ذكور	إناث
١٠٢٩	٥٨٥	١٠٩٩	٦٠٧

المصدر: مجلة زهرة الخليج، العدد ٧٨٤،

في ٢١/ ١٠/ ١٤١٤ - ٢/ ٤/ ١٩٩٤م.

إن من العدل والإنصاف أن نكرم هؤلاء النسوة ونحترمهن، ونحافظ على سمعتهن من أن تلوكها ألسنة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. وإن من التكافل الاجتماعي الذي أوصى به الدين الإسلامي هو رعاية الأيتام والأرامل، والمادة وإن كانت مهمة ولكنها ليست كل شيء، فهناك أشياء لا تشترى بالمال.

٤. تنافس النساء:

إن التنافس أوضح ما يكون في المسابقة الرياضية والانتخابات الرئاسية، ويبلغ التنافس ذروته عندما يكون المتنافس عليه مهماً وعظيماً. وإذا كان الرياضيون يخاطرون بأرواحهم أو بأرواح منافسيهم[1]، والسياسيون يضحون بمبادئهم وبشعوبهم، فإن المرأة في حال التنافس تضحي بدينها، فكم قرأنا عبارة « لقد استسلمت له وأعطيته أعز ما أملك ولكنه ضحك عليّ وخدعني » ، وهذا شيء في غاية الخطورة، يتحمل محاربو التعدد جزءاً من مسئولية حدوثه.

والتنافس متوالية هندسية تتطور بشكل رهيب يوماً بعد يوم، فما كان مقنعاً بالأمس لم يعد مقنعاً اليوم، فالتنافس هو أحد الأسباب الرئيسية للتفاخر والتباهي والإسراف في المناسبات والأفراح، وهو من الأسباب

---

(١) كما حصل للاعبة التنس الشهيرة شتيفي جراف حيث تعرضت لمحاولة اغتيال.

الرئيسية لخروج والنساء إلى الأسواق وهن كاسيات عاريات مائلات مميلات[1]، وكل ذلك بهدف لفت الأنظار، وبالتالي إغراء زوج المستقبل، وما ذلك إلا لأن العرض أكثر من الطلب، وكل ذلك نتيجة للحرب الشعواء التي تشن على تعدد الزوجات، ولو كان التعدد معمولاً به بصورة طبيعية لاختلف الوضع.

٥ـ تحكم المرأة وغرورها:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلاَّ إن الإنسان لَيَطْغَى أنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[2]، فالطغيان والغرور من طبيعة الإنسان، خصوصاً إذا ملك المال والقوة، والمرأة كالعامل في شركة محدودة، فهذا العامل إذا أحس بأن تلك الشركة لا تستغني عن خدماته وأنه أصبح عضواً مهماً فيها فإنه يغطرس ويتمرد.

وهذا ما تفعله الجماعات التي تحارب تعدد الزوجات، حيث تفرض على الرجل زوجة واحدة لا فكاك له منها مما يصيبها بالغرور والغطرسة. يقول د. سامي محمود: « والحقيقة أن المرأة أساءت استخدام كل ما أعطي لها من حقوق، ونحن نسمع ونرى عن نساء رفعن راية العصيان والتمرد بل أن بعضهن أعلن عن وحشية ترجعهن إلى عصور ما قبل التاريخ »[3]. وتحكم المرأة وغرورها ليس في

---

(١) من حديث طويل لرسول الله صلى الله عليه وآله يخبر فيه عن نساء آخر الزمان، وهو من معاجزه (ص) بالباهرة.

(٢) سورة العلق ٦ – ٧.

(٣) كتاب (ترويض المرأة) لـ د. سامي محمود. وعلى الغلاف الأخير منه وضع صورة لبريد صحيفة (الأهرام العدد ٣٨٠٧٧ حيث كتب المرسل « زوجتي تقول لي سأفعل ما أريد وإن كنت رجلاً طلقني لأطردك من الشقة » وذلك لأن القانون يعطيها الحق في ذلك.

مصلحتها؛ فهي إن كانت متزوجة فهـي تدفع زوجها إلى: ١/ طلاقها[1]، أو ٢/ التستر بالنفاق والرياء وسلوك الطرق الملتوية للانتقام لرجولته المهانـة. أما بالنسبة للمرأة العزباء فهو يقلل من فرصتها في الزواج، وفي ذلك ما فيه من كوارث.

٦. تكوين العلاقات السرية:

في عددها في ٢/١٢/ غريزة في الرجل وطبيعته التي لا يمكن أن تقهـر مهما وضع لها من ضوابط غـير شـرعية، ومهمـا قنن لهـا مـن قوانـين تخـالف الطبيعة ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّـاسَ عَلَيْهَـا لا تَبْدِيْـلَ لِخَلْـقِ اللهِ ذَلِـكَ الدِّيـنُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

إن العقل والمنطق والواقع كلها أدلة وبراهين تدعـم تعـدد الزوجـات وتضعنا أمام طريقين، إما أن نأخذ بتعدد الزوجات الإسلامي المنظم المسـئول، أو نأخذ بتعدد العشيقات الغربي الفوضوي اللا مسئول. لقـد وصـل الوضـع إلى حد الكارثة، حتى قرأنا أن العلم يبرر الخيانة[3]، قرأنا أن أسـاقفة يطـالبون بإباحة الخيانة الزوجية[4].

فيا نسـاء الإسلام هل يعجبكن هذا الوضـع؟ هـل يعجبكـن الانحطـاط إلى مستوى البهائم؟ حاشـا، الـتي أعز مـن ذلـك وأكـرم، وإذ كنـتن كذلـك

---

(١) المصدر السـابق.

(٢) سورة الروم ٣٠.

(٣) ذكرت ذلك مجلة الوطن العربي، عـدد ٣٠/ ٩/ ١٩٩٤. وقـالت إن الدكتـور الأمريكي روبرت رايت قـال في كتابه (الحيوان الأخلاقي) إن الإنسـان يولـد وهـو مبرمج للخيانة الزوجية! وقد بدأ البحث عن جينة الخيانة في الإنسان!.

(٤) الشرق الأوسط في ١٨/ ٥/ ١٩٩٥، وقال الأسـقف: « إن الرجل ولـد ليكـون لـه العديد من العشيقات » .

فحافظن على أخوالكن وشجعن على تعدد الزوجات الإسلامي، أو على الأقل لا تدفعن أزواجكن إلى إقامة علاقات سرية غير مشروعة.

٧ـ كثرة أسفار الرجل:

وهذه كارثة لا تحتاج إلى برهان، فهي معروفة في طول البلاد وعرضها، وتعرفها النساء المتزوجات أكثر من غيرهن، وكما ذكرنا سابقاً فطبيعة الرجل، وهذا ليس تقصيراً من الزوجة ولكنها غريزة في الرجل، إذا لم تشبع بالطرق المشروعة، فإنه سوف يختلق التبريرات والأعذار للهروب للخارج لإرضاء تلك الغريزة، ولو وجد ما يشبعها في الداخل ووجد من يشجعه على ذلك بدل الحرب الشعواء ضد التعدد لما فكر في السفر إلى الخارج إلا مع زوجة من زوجاته.

يقول أحدهم: « بصراحة الزواج يقيد الرجل ويمنعه عن أمور كثيرة، والسفر للعلم حجة مقبولة وغير مردودة من الزوجة وإن كانت تزعجها، قد يتخلل السفر بعض المغامرات التي يقدم عليها الزوج، فما المشكلة في ذلك مادام سيعود في نهاية المطاف إلى بيته وعائلته؟ » [1].

نعم سيعود إلى بيته وعائلته، ولكنه لن يعود كما كان، فقد عرف أشياء جديدة ومارس خبرات مختلفة، أفليس أفضل للمرأة التي تعرف الخطأ من الصواب، والتي تقدر العواقب حق قدرها، أن يتزوج عليها زوجها بفتاة من بلده عفيفة طاهرة من أن يذهب ولا يعود، أو يعود ولكن محملاً بالأمراض الجنسية الخبيثة مثل الزهري والسيلان والهربس أو الإيدز وما أدراك ما الإيدز.

---

(١) مجلة كل الأسرة، ٩/ ٩/ ١٤١٥ - ٨/ ٢/ ١٩٩٥.

٨ـ انتشار الجريمة وخاصة الزنى:

كل ظاهرة من الظواهر الاجتماعية تبدأ صغيرة لا تلفت انتباه أحد وتبدأ تكبر شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح ظاهرة طبيعية لا يستنكرها أحد، وتضحي شيئاً مألوفاً عند الناس وكأنها ضرورة من الضرورات التي لا يمكن الاستغناء عنها.

« ففي دراسة أجراها معهد موري البريطاني للاستقصاء، إن الجيل الجديد من البريطانيين في مستوى أخلاقي أقل من المستوى الذي كان يتمتع به الجيل الماضي، وإن الجيل المقبل سوف يكون أخلاقياً أقل بنسبة الربع من أخلاقيات الجيل الحالي.

وأوضح الإحصاء أن نسبة كبيرة من البريطانيين تؤيد الإباحية فيما ١٤٪ من الشبان فقط يعارضون عيش الرجال والنساء في منزل واحد دون زواج »[١].

وفي فرنسا « أشار تقرير صدر عن وزارة الداخلية الفرنسية ونشرته صحيفة (الفيجارو) بأن عدد الجرائم الكبير قد ازداد خلال الأعوام ١٩٧٥ - ١٩٨٥ بنسبة ٧١,٥٪ »[٢].

وفي الولايات المتحدة «جاءت في التقارير الرسمية الشاملة عن الجريمة في الولايات المتحدة عام ١٩٩١ أن معدل الجرائم العنيفة ارتفع بنسبة ٣,٦٪ ، ويشمل هذا النوع من الجرائم القتل والاعتداء والسرقة بالإكراه والاغتصاب »[٣].

---

(١) جريدة اليوم، ٣/ ٦/ ١٤٠٩هـ - ١٠/ ١/ ١٩٨٩م.

(٢) جريدة اليوم، ١/ ٢/ ١٤٠٧هـ -

(٣) جريدة الشرق الأوسط، ٣١/ ٨/ ١٩٩٢.

وجاء في دراسة أخرى « ذكر الأطباء في لوس أنجلوس أن المراهقين أصبحوا نشطين جنسياً بشكل يسبق نظرائهم الذين عاشوا قبل عقدين من الزمن بفترة عامين، وإذا استمر الحال على هذا المنوال فإن الوضع سيسير إلى أسوأ، مما سيترتب عليه مشاكل اجتماعية كبيرة. وإذا استمر هذا الاتجاه دون ممارسة أي ضوابط فإن الأمر سيؤدي إلى ازدياد حوادث الاغتصاب أكثر بكثير من معدلاتها الحالية التي هي في الأصل مرتفعة جداً، وإلى قيام المزيد أيضاً من العلاقات المحرمة التي ستنسف التركيب العائلي والأسري التقليدي الحالي وبالتالي نسف المجتمع ككل »[1].

وأخيراً (بلغ السيل الزبى) « الشبان غارقون في المخدرات والجنس والعنف، ومجالسهم عبارة عن حلقات من الإباحية والشذوذ والمخدرات والشعار المرفوع هو (كثير من المتع قليل من الألم) . الشيء الذي يثير قلق الخبراء هو أنه إذا سارت الأمور أسرع وأبعد، فإن الحرية سوف تترك مكانها للإباحية والفسق، وقد تنهار الحضارة الإنسانية كلها، كما حدث لحضارات سابقة مثل الحضارة الرومانية »[2].

وهذا ميل فطري في الإنسان؛ فإنه إذا سدت في وجهه الطرق المشروعة فإنه بطبعه يتجه إلى الطرق الممنوعة. وهكذا فنحن بمنعنا تعدد الزوجات فإننا ندفع النساء والرجال إلى تعدد الخليلات، وعندها تبدأ سلسلة تعدي حدود الله إلى أن يصل الأمر إلى أن (تترك الحرية مكانها للإباحية والفسق).

---

(١) جريدة اليوم، عدد ٧٩٧٦، في ١٧/ ١١/ ١٤١٥ - ١٧/ ٤/ ١٩٩٥.

(٢) الشرق الأوسط، عدد ٦٠٦١، في ٥/ ٢/ ١٤١٦هـ - ٣/ ٧/ ١٩٩٥م.

٩. تفشي الأمراض النفسية والجسدية:

يذكر ت.م. صالح، الذي يعمل في أحد مستشفيات أرامكو أن إحدى الفتيات كانت زبونة دائمة على عيادة الأمراض النفسية، وبعد انقطاعها عن العلاج لفترة من الزمن التقى الدكتور صدفة بأبيها فسأله عنها، فقال الأب أنها قد شفيت من الحالة النفسية التي كانت تعتريها، فسأله الدكتور مستغرباً: وكيف حصل ذلك؟ فقال الأب: إن الحالة لم تعد تأتيها منذ أن تزوجت.

وتزداد الأمراض النفسية تفشياً يوماً بعد يوم في تناسب طردي مع بعدنا عن شريعة الله سبحانه وتعالى، فكلما ابتعدنا عنها كلما زادت الأمراض النفسية، وبالتالي الأمراض الجسمية، وأصبحت الحياة لا تطاق، وفي هذا يقول الحق جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1]، وهذا هو السر في انتشار ظاهرة الانتحار في الغرب.

يقول د. عبدالستار إبراهيم: « يعتقد كثير من الأطباء النفسيين أن عدد المصابين يتراوح بين ٣٠ – ٣٥٪ من عدد سكان أي دولة. والحقيقة إن نسبة التعساء بسبب الاضطرابات النفسية والعقلية أو الاجتماعية قد تكون أكبر من هذا » .

ويقرر مركز للخدمات الصحية في إحدى الجامعات الإنجليزية أن ٤٪ من الرجال و٥٪ من النساء يعانون من أعراض نفسية أثناء حياتهم الدراسية. وفي دراسة مسحية على ٥٠٠٠ أمريكي وجد أن ٤٪ منهم كانوا يعانون من الاضطراب المزمن، و١١٪ يشعرون بالاكتئاب النفسي والتعاسة، و١٩٪

---

(١) سورة طه ١٢٤.

تملكهم مخاوف من الانهيار العصبي بين لحظة وأخرى، و٢٣٪ صادفتهم مشكلات احتاجت لتدخل أخصائيين نفسيين أو اجتماعيين، أما نسبة الذهان فهي تصل إلى أكثر من ١٪ في المجتمع، والنساء أكثر عرضة للإصابة بالأمراض النفسية من الرجال -ويضيف د. إبراهيم قائلاً- أما في العالم العربي فإننا نعتقد بأن الأمر لا يختلف كثيراً.

والأمراض النفسية، القلق والاكتئاب، يبدو فعلاً أنها في تزايد مستمر بالرغم من ازدياد تعاطي العقاقير المهدئة. وهناك دلائل واقعية على أن القلق أو النزعات العصابية تتزايد في دول العالم، ويبدو أن ضغوط الحياة وميل المواطنين في هذه الدول لتبني قيم المجتمعات الغربية المادية، يخلق ضغوطاً على الأفراد مما يسم حياتهم بالصراع والقلق » [1].

نعم فمنذ أن تبنينا قيم المجتمعات الغربية المادية، وأعرضنا عن قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتم ألا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[2] اتسمت حياتنا بالصراع والقلق وأصبنا بالعلل والأمراض النفسية.

فماذا نتوقع من فتاة تحلم وهي في مقتبل العمر بفارس الأحلام الذي يأخذها على حصانه الأبيض إلى إحدى الجنان العامرة حيث يبني لها هناك قصراً منيفاً، تملؤه هي بنين وبنات، ويملأون هم دنياها بهجة وسروراً. ولكن تمضي سنوات العمر سنة إثر سنة وتبلغ الثلاثين ولا يتقدم لها أحد رغم التزين والتجمل والماكياج، وهنا يبدأ الصراع ويبدأ القلق، وتصل إلى سن الخامسة والثلاثين وثم الأربعين وكلما مرت السنوات كلما قلت فرصتها في الزواج، كما تقل خصوبتها وبالتالي تقل فرصتها في الإنجاب، ويزداد القلق ويزداد

---

(١) سلسلة عالم المعرفة، كتاب (العلاج النفسي قوة للأنسان) ص٥٠ وما بعدها.

(٢) سورة النساء ٣.

الصراع فتهرب من عالمها الحقيقي إلى عالم الخيال والأوهام.

إن السبب في ذلك هو أمها المتزوجة وأختها المتزوجة وهي نفسها لما كانت غرى صغيرة حيث شن على العدد حرباً شعواء، كل ذلك بدافع من تبني قيم المجتمعات الغربية المادية التي تنطوي على الصراع والكراهية والأنانية. يقول وحيد الدين خان: « لقد أكدت إحصائية صحية أن ٨٠٪ من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضاً ناتجة عن الأعصاب، ويقول علماء النفس الحديث: إن من أهم جذور هذه الأمراض النفسية: الكراهية والحقد والجريمة والخوف والإرهاق واليأس والترقب والشك والإثرة والانزعاج من البيئة، وكل هذه الأعراض تعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان با لله »[1].

﴿أَلَم يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ اللهِ ومَا نَزلَ من الحقِ ولا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنَ قَبْل فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم وكَثِيرٌ مِنْهُم فَاسِقُون﴾[2].

ولو اقتصر الأمر على الأمراض النفسية والقلق لوجب استئصال أسبابه، ووضع الحلول الناجعة لها، فكيف إذا تعدى الأمر إلى الأمراض الجسمانية المستعصية، والآفات الاجتماعية الخطيرة ألا يستحق منا ذلك إعادة النظر في الأوضاع التي وصلنا إليها؟.

---

(١) كتاب الإسلام يتحدى، المفكر الهندي المسلم وحيد الدين خان، ص٢٥٦.

(٢) سورة الحديد ١٦.

أهدافنا وأهدافهم

يقول الحق جلّ شانه: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم وَيَهْدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم وَيَتُوبَ عَلَيْكُم وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيم وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُم وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[1].

كل إشارة، كل خطوة، كل حركة يقوم بها الإنسان لها غاية تنتهي إليها، ولها هدف تسعى إلى تحقيقه. وتنقسم الأهداف من حيث المبدأ إلى:

أ/ أهداف خيِّرة ب/ أهداف شرِّيرة

والإنسان تحركه أهداف سامية فيتسامى حتى يكون قريباً من الملائكة، أو تدفعه أهداف منحطة حتى يكون من الشياطين.

وهدفنا الأساسي من هذا الكتاب هو الوقوف في وجه الهدف الأساسي للذين يتبعون الشهوات، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ومن البديهي أنه لا يمكننا ذلك إلا باتباع ما أمر الله به، والابتعاد عما نهى عنه، مستفيدين مما وصل إليه حال الأمم الأخرى آخذين العبرة منهم قبل أن نكون نحن عبرة للآخرين.

ـ أهدافنا:

أهدافنا من الدعوة إلى تعدد الزوجات والتشجيع عليه هي:

---

(١) سورة النساء ٢٦ – ٢٧.

١- أن يكون لكل امرأة زوج وبيت وأولاد:

فكما أثبتنا سابقاً أن أعداد النساء أكبر من أعداد الرجال إضافة إلى الأرامل والمطلقات، فإذا اقتصر كل رجل على زوجة واحدة فماذا تفعل النساء الزائدات؟ وما هو الحل لمصيبتهن؟ وربما كان هذا داخلا ضمن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]، وحتى لو اتبعت طريقة الغرب الحيوانية –والعياذ بالله– فإن ذلك سوف يشبع غريزتهن الجنسية، ولكنه لن ينتج أولاداً وسعادة. تقول أستاذة إنجليزية في حفل تكريمها: « ها أنا قد بلغت الستين من عمري، وصلت فيها إلى أعلى المراكز .. حصلت على شهرة واسعة ومال كثير .. أتيحت لي الفرصة أن أزور العالم كله .. ولكن هل أنا سعيدة الآن؟

لقد نسيت في غمرة انشغالي في التعليم والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة، نسيت أن أتزوج وأن أنجب أطفالاً وأن استقر.

إن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تتزوج وتكوّن أسرة، وأي مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له في حياتها هي بالذات ... إني أنصح كل طالبة تسمعني أن تضع هذه المهام في اعتبارها، وبعدها تفكر في العمل والشهرة ».[2]

وإذا كان (المطبخ هو مملكة المرأة) فإن البيت هو جنتها، وأي حلم يعادل حلم المرأة في أن يكون لها بيت ترفرف عليه السعادة والأمن والرحمة.

ألا يستحق كل ذلك منا وقفة تأمل وتفكير؟ وأن نتخلى قليلاً عن نزعتنا الأنانية في سبيل إسعاد ملايين الآخرين؟.

---

(١) سورة النساء ١٢٩.

(٢) كتاب « في محكمة التاريخ » للدكتور عبدالودود شلبي. ص٨٣.

٢ـ إشباع غريزة كل من الرجل والمرأة بالطريق المشروع:

وفي الإسلام ليس هناك طريقاً مشروعاً غير الزواج، والغريزة الجنسية من أقوى وأعتى الغرائز عند الإنسان، وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: « ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ مِنَ النساء »[١].

يقول عبدالمعز خطاب: « الغريزة الجنسية من أنشط الغرائز في دماء الناس، بل لعل بقاء العمران موكول إليها، وحساب هذه الغريزة لا ينسى في ميدان الاقتصاد أو في ميدان التربية، ولا يتجاهلها إلا امرؤ أغمض عينيه عن الحقائق، وأصم أذنيه عن الصراخ »[٢].

وإذا كان ذلك الكلام نظرياً فإن الواقع يصدقه ويدل عليه، ففي رسالة إلى مجلة (كل الأسرة) تفيض بالألم والمعاناة والحسرة، تقول مرسلتها (م.س) تحت عنوان (ركبت قطار العلم ففاتني قطار الزواج): « لا يهم في أي صفحة تنشر هذه المعاناة، ولا تحت أي بند .. هي ليست بمشكلة خاصة، وإنما شبه عامة، وتعاني منها فئة ليست بقليلة في مجتمعنا النامي، وأنا عنصر في هذه الفئة.

في داخلي فتاة ناضجة حالمة بزوج .. بأسرة .. بأطفال، فغريزة الأمومة تناديني وتعذبني .. أنا من تخطت الثلاثين من العمر ولم تمارس أنوثتها وأمومتها، مجتمعي يعاقبني بلا ذنب اقترفته.

وفي ختام رسالتها الطويلة التي ذكرت فيها ما تعانيه أمثالها من وحدة وشقاء، تقول المرسلة: « اعذريني يا أخت فوزية إن أطلت عليك الحديث، ولكن لابد من الحديث. لابد من أن يوجد من يتبنى مناقشة هذه المشكلة،

---

(١) انظر كتاب « كنز الحقائق » للحافظ زين الدين عبدالرؤف المناوي.

(٢) الغريزة الجنسية ومشكلاتها، لعبد المعز خطاب، ص٩.

وأنا لا أتحدث هنا عن مشكلة خاصة، ولكنها شبه عامة، لمستها عند كثير من الفتيات في مثل سني ».

وردت عليها الدكتورة فوزية قائلة: « عزيزتي .. توجعني بين الحين والآخر مثل رسائلك هذه، وأجدني عاجزة عن إعطاء الحل السريع الشافي، حقيقةً إن الفتاة غير المتزوجة في عمر متقدم أصبحت مشكلة خليجية حادة وواضحة وتحتاج إلى حل جذري سريع، وأنه لأمر مؤسف أن كثيرين لازالوا يعيشون بقناعة أن الفتاة الصغيرة أفضل للزواج. إن كل شاب من جيلك يتزوج بفتاة من جيل سبقك، وهكذا تتسع دائرة العمر لدى الفتيات الباقيات مثلك »[1].

لا يا دكتورة فوزية هذا الكلام غير دقيق، فلو كان كل شاب يتزوج بفتاة من جيل يسبقه، لأصبح هناك نقص في الفتيات في الأجيال اللاحقة، وهذا ما يثبت الواقع المعاش عكسه، حيث هناك زيادة في عدد الفتيات، لا نقص في عددهن، وما تصلك من رسائل كثيرة دليل آخر على ذلك.

لقد طرحت مجلاتكم النسوية مشكلة العنوسة ومشكلة الأرامل والمطلقات على بساط البحث عدة مرات ولم تتوصلوا ولن تتوصلوا إلى حل مادمتم تتحاشون الحل العقلي والعلمي، وهو تعدد الزوجات، وتبحثون عن حل علماني لم تجده –ولن تجده– أوروبا منذ قرون.

٣ـ توفير الأمن والاطمئنان للمرأة والرجل:

الدول التي تهتم بأفراد شعوبها تنشئ ما يسمى بصناديق الضمان الاجتماعي، حيث توفر لهم دخلاً شهرياً ثابتاً في حال عجزهم أو كبرهم، وبذلك يعيش الأفراد هانئين قانعين مطمئنين لمستقبلهم.

---

(١) مجلة كل الأسرة، عدد ١/ ٢/ ١٩٩٥ – ٢/ ٩/ ١٤١٥، ص٥٥.

وكان الشائع عندنا في الماضي أن يمين زوجاً للفتاة منذ ولادتها، فيقال (هذه زوجة فلان)، وتكبر الفتاة ويكبر معها فلان وغالباً ما يكونا لبعضهما البعض، وأما من لا يكون لها مقابل فتكون من نصيب رجل متزوج، وهكذا بتطبيق تعدد الزوجات لم تعرف المجتمعات الإسلامية السابقة مشكلة العوانس، التي وصفتها دكتورة فوزية بأنها « أصبحت مشكلة خليجية حادة وواضحة » . والحقيقة أنها أصبحت مشكلة عالمية عامة، حيث تقضي كثير من النساء حياتهن عانسات. وهكذا أيضاً حلت المجتمعات الإسلامية القديمة مشكلة الأرامل ومشكلة المطلقات، حيث كان يسارع أقاربهن وجيرانهن ومعارفهن بالزواج منهن وتوفير العيش الكريم لهن، وحفظهن من الأمراض النفسية والمذلة والمهانة والابتذال.

وإن في ذلك لفائدتين عظيمتين:

أولاً: بالنسبة للمرأة حيث تعيش آمنة مطمئنة، متأكدة بأنها سوف تتزوج وتصبح أماً عاجلاً أو آجلاً، وبذلك تعيش حياة خالية من العقد والاضطراب والتوجس، ولا داعي لها بأن تستعرض زينتها ومفاتنها ولو لم يكن إلا هذا لكفى.

ويكفي أن نورد الرسالة التالية لنحس مدى الشقاء وعدم الأمن الذي تقاسيه الفتيات البائسات. تقول س. أ.ب.: « أنا خريجة جامعية أحس بشقاء على الرغم من أنني جميلة، ولكني لم أوفق في الزواج حتى الآن، والمشكلة الحقيقية هي أنني كلما رأيت شخصاً لأول مرة أتحدث معه وأجلس معه كما لو كنت عرفته من قبل ورأيته وتحدثت معه. أحداث تمر بي لأول مرة، وأحس بعد ذلك وكأنها مرت عليّ من قبل، أشعر بهذه الحالة منذ سنوات وهي تزداد عندي، خاصة بعد موت صديق لي، وبعد موته أحسست بأن الدنيا قد دارت بي، وصرت أدعو الله ليل نهار أن أموت لكي أكون بجواره. إنني بائسة

وأشعر بأن الجنون يطاردني في كل لحظة فماذا أفعل؟ »[1].

ثانياً: بالنسبة للرجل؛ ماذا يفيد التأمين الرجل المؤمن على حياته؟ إنه يضمن حصول أسرته بعد وفاته على دخل ثابت يحفظ لهم كرامتهم، ويغنيهم عن التسول، ويحفظهم عن التشرد والضياع. وهكذا كان تشريع تعدد الزوجات الإسلامي أسمى وأنبل من ذلك فهو لا يحفظ كرامة أسرة المتوفى ولا يغنيهم عن التسول ولا يحصنهم عن التشرد والضياع فقط، وإنما يضمن لهم -في حال تطبيقه كما أراده الله- الأب الرءوف وزوج الأم الصالح، وهذا ما كان معمولاً به في صدر الإسلام، فكان الجندي يذهب إلى القتال وهو مطمئن بأنه لو استشهد في سبيل الله فإن أحد إخوانه المؤمنين سوف يتزوج أرملته ويضم إليه أولاده، وبذلك يحفظهم من التشرد والضياع.

فهاهو رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب أم سلمة رضي الله عنها بعد أن استشهد زوجها في سبيل الله، فقالت للخاطب: « مرحباً برسول الله (ص) .. ولكن أبلغه عني: أني امرأة مسنة وأم أيتام، وأني فوق ذلك شديدة الغيرة، فأرسل إليها رسول الله (ص) يقول: أما قولك أنك امرأة مسنة فأنا أسن منك، ولا يعاب المرء أن يقال تزوج أسن منه. وأما قولك أني أم أيتام فإن كلّهم على الله ورسوله. وأما قولك إني شديدة الغيرة فإني أدعو الله أن يذهب عنك ذلك »[2].

وهكذا بالنسبة للمطلق والمطلقة، فبعض الأزواج تضطرهم الظروف

---

(١) مجلة (حواء)، العدد ١٥٤١، في ٥/ ٤/ ١٩٨٦م.

(٢) كتاب (مسلمات خالدات) لمحمد علي قطب. وذكر أنه « كانت عادة العرب في إكرام رجالهم العظام أن يحفظوهم في زوجاتهم إن هم قضوا في ساحات الشرف وماتوا في ميدان الجهاد بالزواج منهن » ، كتاب أم سلمة، ص٢٠.

إلى الانفصال عن بعضهم البعض، وهذه كارثة بالنسبة للمرأة في هذا الزمن الذي تشن فيه حرباً شعواء على تعدد الزوجات، تشارك فيها -مع الأسف بوعي وبدون وعي- المرأة. فالرجل بعد الانفصال يستطيع أن يتزوج في أي وقت يحدده هو، أما المرأة فتظل تنتظر وتنتظر ابن الحلال، وتطوى سنوات الخصوبة وابن الحلال لا يأتي، فمن يريد أن يتزوجها ثانية تشن عليه الحرب من كل جانب، والذي يتزوج لأول مرة يريد فتاة عذراء لم يطمثها أحد قبله. وإذا كان هناك أمل في أن يتقدم لها رجل متزوج فإن الأمل شبه معدوم في أن يتقدم لها شاب أعزب.

يذكر الأستاذ ج. أ. أن أحد زملائه المدرسين مضى على زواجه مدة سبع سنوات دون أن ينجب، والغريب أن الفحوصات والتحاليل أثبتت أن كلا الزوجين سليمان وقابلان للإنجاب -وكثيرا ما يحدث هذا، حيث يثبت الطب أن الزوجين سليمان ولكنهما لن ينجبا إلا إذا انفصلا وارتبطا بشريكين مختلفين- عند ذلك قرر الأستاذ أن يجرب حظه مع امرأة أخرى، وهذا الأمر متاح للرجل، أما زوجته فقد عرض عليها: أن تبقى على ذمته ولكنها ستبقى محرومة من الأطفال أو أن يطلقها فلعل الله يقذفها بتعدد الزوجات التي كانت تحاربه.

إن تأثير تعدد الزوجات في ضمان الأمن والاطمئنان للرجل على عائلته بعد وفاته لا يجادل فيه اثنان، وأما تأثيره في حالة الطلاق، فإن كثيراً من أمثال المشكلة السابقة ستحل لو عمل به بصورة صحيحة.

٤. استئصال الفساد وخلق المجتمع النظيف:

هل يمكننا ذلك؟ نعم يمكننا ذلك بشرط أن نتبع أوامر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكل ما يحتاجه الإنسان في هذه الحياة هو إشباع حاجاته الحيوية وتقوى الله لكي لا يفلت العنان.

والجنس كما ذكرنا سابقاً من أشد حاجات الإنسان عليه، فسوطه

يظل يلهب ظهر الشاب فيرتكب الموبقات، والفتاة فتفقد أعز ما تملك، وترتكب من الحماقات ما تأسف له بقية عمرها، ولهذا قال الرسول الحكيم (ص): « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

والجنس حالة مشتركة بين كل من الرجل والمرأة، وهو في مراحله النهائية المتطورة سكن واستقرار ومودة ورحمة وإنجاب أبناء صالحين، كما قال تعالى: ﴿ومِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُم أزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إنَّ في ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. أما في مراحله البدائية الحيوانية فهو وسيلة لإشباع الغريزة وللحصول على المتعة واللذة.

والجنس حاجة حيوية ضرورية في مرحلة من مراحل عمر الإنسان السوي ذكراً كان أو أنثى، وخصوصاً في هذا العصر الذي انتشرت فيه المغريات الجنسية، التي تزلزل كيان الإنسان، انتشاراً فظيعاً وصارت الصور الخليعة، والأجساد العارية تلاحق الفرد المسكين ليلاً ونهاراً وتدخل عليه بيته وغرفة نومه.

ولا سبيل إلى مقاومة الإغراء وبالتالي الفساد إلا بتشييد ثلاثة حصون رئيسية وهي:

أ. إشباع الشهوة　　　ب ـ تحقيق الذات　　ج ـ تقوى الله

أ ـ إشباع الشهوة، التي هي أمر فطري مغروز في أعماق كل إنسان سوي فهناك قوة خفية لا تقاوم تشد الرجل إلى المرأة، وتشد المرأة إلى الرجل، وهذه من حكم الله سبحانه وتعالى البالغة، فلولا هذه القوة القاهرة

---

(١) سورة الروم ٢١.

لانقرضت الأحياء منذ زمن بعيد وعلى رأسها النوع الإنساني.

ولكبح جماح الشهوة فرض الإسلام الحجاب الإسلامي وأمر بغض البصر، فقال الخبير الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ونساء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]. ويقول الشيخ جواد الخالصي: «إن الحكمة الجليلة في الحجاب هي أن الرجل سريع التأثر، ولكفي النظرة والفكرة لإثارته، فلابد من وضع صمامات آمان في مناطق الإثارة وهي الحجاب للمرأة»[2].

إن كل الاحتياطات التي جاء بها الشرع ماهي إلا مُساعِدات تعين الفرد المسلم على عدم الوقوع في الفاحشة، ولكنها لا تصمد طويلاً أما استمرار الإغراء وعدم الإشباع.

وقد يقول قائل (ألا تكفي زوجة واحدة للرجل؟) . نعم هناك من الرجال من لا تكفيه زوجة واحدة خصوصاً في هذا الزمان الرديء. ولكن تركيزنا الأساسي هنا هو على النساء الزائدات العوانس والمطلقات والأرامل، فبالإضافة إلى الأدلة التي سقناها سابقاً نضيف قول دكتور أحمد ديدات «وللغرابة ففي كل الأعمار يزيد عدد الأرامل من النساء عن عدد الأرامل من الذكور، وفي كل الأمم المتحضرة يزيد عدد النساء عن عدد الرجال، بريطانيا يوجد بها أربعة ملايين امرأة زائدة، في ألمانيا خمسة ملايين، وفي الاتحاد السوفيتي سبعة ملايين.

وتقول الإحصاءات أن في الولايات المتحدة ٧,٨ مليون امرأة ... في

---

(١) سورة الأحزاب ٥٩.

(٢) كتاب (الرجل والمرأة) للشيخ جواد الخالصي، ص٥٧.

مدينة نيويورك وحدها مليون امرأة زائدة عن الرجال، حتى لو تزوج كل الرجال في المدينة فسوف يبقى مليون امرأة بدون زواج »[1].

وهناك في العالمين العربي والإسلامي ملايين النساء الزائدات عن الرجال، هؤلاء النساء مثلهن مثل بقية خلق الله، لهن رغباتهن وطموحاتهن وشهواتهن، وهذه الغرائز إذا لم تشبع بالحلال، بالطريق المشروع الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، فإنها ستتجه -لا محالة- إلى الطرق غير المشروعة، وفي ذلك فساد المجتمع ودماره ونزول البلايا والمصائب به، ولا تعتقد امرأة متزوجة أنها بمنأى من ذلك، فلربما جاء الدور على ابنتها أو أختها أو عزيزة عليها.

فيا من تفكرون؟ أليس في التعدد حل لكل ذلك؟ ويا من تحاربون التعدد ضعوا لنا حلاً يضمن للمرأة الحياة الحرة الكريمة، ويضمن للمجتمع الأفراد الشرفاء المنتجين؟ أما إذا عجزتم -وإنكم لكذلك- فكفوا فواكم عن حرب شرع الله ورسوله، أم أنكم من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ب ـ تحقيق الذات: فكل رجل ولد ليكون أباً، وكل امرأة ولدت لتكون أماً، وهذه مشكلة خطيرة انفتحت على الغرب، فبعد الثورة الجنسية العارمة هناك، لم تكتف النساء بإشباع رغباتهن الجنسية فقط وإنما تعدين ذلك للمطالبة بتحقيق أموماتهن، ولما كان البشر أعجز من أن يضعوا حلاً لهذه المشكلة بسبب انسياق عقولهم وراء شهواتهم، وصدهم عن حل العزيز

---

(١) كتاب (محمد (ص) الخليفة الطبيعي للمسيح) لـ د. أحمد ديدات، ص٨٤ -٨٥.

(٢) سورة النور ١٩.

الحكيم فقد نشأ ما أطلق عليه (الأسرة الواحدية) وهي الأسرة المكونة من رجل وطفل أو أكثر، أو من امرأة وطفل أو أكثر، حيث لا يعرف الأطفال من هي أمهم أو من هو أبوهم.

تقول جريدة الشرق الأوسط: « تعتبر المرأة مسئولة عن إعالة ما نسبته ٢٥٪ من إجمالي الأسر في العالم ... وتعول المرأة في الولايات المتحدة نصف الأسر الفقيرة، وتكون النساء المسئولات عن إعالة هذه الأسر أما مطلقات أو أرامل أو منفصلات » [(١)].

وجاء في عدد آخر « بالإضافة إلى هذا فيان برلين –عاصمة ألمانيا– هي مدينة الأسرة المتكونة من شخص واحد فقط، لقد سجلت الإحصائيات وجود ٨٢٨ ألف (أسرة واحدية)، وبتعبير آخر فيان الزواج لا يجري على نحو طبيعي، ويزداد عدد المطلقين على نحو مطرد » [(٢)].

وورد في عدد سابق « يطرح أحدث مسح اجتماعي نشره مكتب السكان والإحصاء في بريطانيا أبرز العوامل والمتغيرات الطارئة على السلوك الفردي والملكية العقارية، الأمر الذي انعكس وبصورة مباشرة خلال الأعوام القليلة الماضية، في ارتفاع نسبة الإنجاب خارج الأطر المشروعة للأسرة، ومن ثم زيادة أعداد العائل الواحد للأسرة بصورة كبيرة.

وفيما كانت زيادة هذه النسبة من الأنماط الاجتماعية التقليدية لا تصل إلى ١٪ ما بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٣، فقد تخطت شرائح الأنماط الجديدة منذ عام ١٩٧٣ وحتى الآن نسبة ٢٢٪ في الوقت الذي وصلت فيه

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، في ١٦/ ٤/ ١٤١٦ – ١١/ ٩/ ١٩٩٥.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، في ١٣/ ١/ ١٤١٦ – ١١/ ٦/ ١٩٩٥.

نسبة الأمهات العزباوات عند حدود ١٢٪ خلال الفترة ذاتها »[1].

وكثيراً منا سمع أو قرأ[2] عن فتيات يبحثن عن الزوج ويعملن المستحيل للحصول على الذرية، لدرجة أن بعضهن يرتكبن الموبقات في سبيل ذلك، ورغم الأهمية العظمى التي تعطيها الفنانات للفن فإنهن يتركن الفن عند أول بادرة حقيقية للزواج والإنجاب إذا كان ذلك يتعارض وعملهن المزيف[3].

ولأن عالمنا الإسلامي لم يصل بعد إلى مرحلة (الأم العزباء) والعياذ بالله فإن معظم أدلتنا على أهمية الأمومة وتحقيق الذات في حياة المرأة تأتي من الغرب الذي يتخبط في البحث عن حلول لتلك المشكلة، التي تسبب كثيراً من الفضائح لقادته فضلاً عن عامته، من ذلك الفضيحة التي أطاحت بـ (سيسل باركنسون) وزير التجارة والصناعة في الحكومة البريطانية واليد اليمنى لرئيسة الوزراء مارجريت تاتشر، بعد أن انكشفت علاقته مع سكرتيرته (سارة كيز) بعد أن رفضت التخلي عن ابنتها منه مقابل مبلغ ضخم من المال والعناية بها، وبدل ذلك طلبت منه الانفصال عن زوجته الأولى والارتباط بها، وهددته بنشر مذكراتها قائلة: « إنها تكتب مذكراتها لتنتقم من باركنسون، وحتى تتمكن ابنتها منه والتي تربيها بمفردها في يوم من

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، في ١/ ١١/ ١٤١٥ - ١/ ٤/ ١٩٩٥.

(٢) انظر مجلة الأسرة العدد ٢٣ زاوية شوارد. وكذلك مجلة زهرة الخليج العدد ٨٦٤. وذكرت أن ٣٥٪ من الفتيات المصريات تعدين سن الثلاثين بدون زواج، وأن ٢٠٪ منهن يتزوجن في فترات بين ٣٥ و ٤٠ سنة، ومعنى هذا أن ١٥٪ من الفتيات المصريات يبقين بدون زواج أبداً.

(٣) تقول الفنانة هناء شورنجي: « أنا أم أولا وزوجة ثانيا وفنانة أخيراً ».

الأيام من الاطلاع على الحقيقة »[1].

أليس في الإسلام الذي يلبي فطرة الناس حل لهذه المعضلة؟

ولنستشعر المرارة والألم الذي تحسهما من لم تحقق ذاتها، فلنقرأ الرسالة التالية: « إنني جامعية حاصلة على الماجستير من الولايات المتحدة، عندي شقة مجهزة بأحدث الآلات، ولدي ثلاثة حسابات جارية بالبنوك الأجنبية والمصرية.

مشكلتي تكمن في إنني الآن في الخامسة والثلاثين من العمر، ولم يتقدم لخطبتي أي رجل ...!

أقسم بالله أنني لا هنا في القاهرة، ولا هناك في أمريكا، ذهبت إلى ملهى ليلي أو شربت أو رقصت، وضميري لم يسمح لي بالتفكير برهة فيما يغضب الله.

سيدتي أنا الآن عانس!! فاتني قطار الزواج، الناس حرموني حقي في الحياة، حكموا عليَّ حكماً قاسياً أطاح بسعادتي وأملي في أن أكون زوجة وأماً »[2].

إذا كانت الأمومة أمراً فطرياً وملحاً مغروزاً في كيان كل امرأة، وإذا كان الغرب لم يجد حلاً لشوق المرأة في أن تكون أماً وتحقق ذاتها، ففتح الباب للأم العزباء، والأسرة الواحدية، فما هو الحل الذي ستطرحونه في البلاد الإسلامية يا من تحاربون تعدد الزوجات الإسلامي؟.

---

(١) مجلة زهرة الخليج، عدد ١٨/ ٢/ ١٤٠٦هـ - ٢/ ١١/ ١٩٨٥م.

(٢) مجلة حواء، عدد ١٥٤١، في ٥/ ٤/ ١٩٨٦م.

ألا يحز في نفوسكم أن تتقطع الفتاة العانسة والمطلقة الشابة والأرملة الصغيرة ألماً وحسرة على الزوج الوفي والذرية الصالحة؟.

إذا كان لديكم حل لهذه المعضلة الإنسانية فسارعوا بطرحه، وإلا لا تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

جـ ـ تقوى الله، « جاء في تقارير البوليس الأمريكي بشيكاغو، وقد نشرت في ثلاثة عشر مجلداً ما يلي: إن هذه الحرية الفاسدة، وحضارة الخنافس، لم تفسد نظام الأسرة في أمريكا فقط ولكنها أيضاً جلبت لأمريكا ثقافة لا يمكن معالجتها بالبوليس والقضاء » [2].

نعم إن بوليس أقوى دولة في العالم، بكل ما تملك من أجهزة متطورة ووسائل إعلام متقدمة، تفشل في معالجة الانفلات الجنسي المفرط، كما فشلت من قبل فشلاً ذريعاً عندما سنت القوانين لتحريم الخمر[3]، بينما أريقت جرار الخمر في شوارع المدينة المنورة، الدولة الإسلامية الناشئة إثر نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، ولم يكن هناك شرطي واحد، ولا تهديد ولا وعيد ولا غرامة ولا سجن.

كل الذي كان هناك هو التقوى، الإيمان بالله والخوف منه، وهو ما

---

(١) سورة النور ١٩.

(٢) كتاب (الانحرافات الجنسية وأمراضها) لـ د. فائز محمد علي الحاج، ص٥٠.

(٣) كتاب (محمد (ص) الخليفة الطبيعي للمسيح) لـ د. أحمد ديدات، ص٧٦.

(٤) سورة المائدة ٩٠.

يحتاجه كل من المرأة والرجل اليوم. تحتاجه المرأة لئلا تخرج من بيتها كاسية عارية، وتخاف الله المرأة المتزوجة فلا تحرم أختها العانس من حق الحياة، ويخشى الله الرجل فلا يتخذ رخصة تعدد الزوجات ألعوبة، ويتخذ آيات الله هزواً.

فإذا اجتمعت العناصر السابقة في جوٍّ من تقوى الله والخوف منه، مع التضحية ببعض المصلحة الذاتية في سبيل صلاح الجماعة، فإن الفساد سوف يستأصل من المجتمعات الإسلامية بحول الله، وسيعيش كل من الرجل والمرأة في جوٍّ من السعادة والاطمئنان.

وبعد أن تفشت الأمراض الجنسية حاول الغرب وضع عدة حلول لوقف الممارسات الجنسية الغير شرعية، ولكنه فشل فشلا ذريعاً. ومن هذه الحلول[1]:

الحل الأول: سن القوانين؛ بهدف التضييق على الفساد والحد من انتشار الأمراض، وصدر أول قانون في إنجلترا عام ١٨٦٤، « وأما في مصر فإن أول قانون صدر لتنظيم بيوت الدعارة كان في يوليو ١٨٩٦ » .

الحل الثاني: حظر البغاء؛ صدر قانون حظر البغاء في أمريكا عام ١٩١١. « وأما في مصر فقد صدر الأمر العسكري رقم ٧٦ لعام ١٩٤٩ ملغياً بيوت الدعارة ... وعند الاتحاد مع سوريا وحد المشروع تحريم البغاء فصدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٠ » .

الحل الثالث: محاربة البغاء في كل صوره؛ « إن هذا الحل لا يكتفي بإلغاء البغاء بل تخصيص قوة بوليس لمتابعة من يمارس هذه المهنة (بوليس

---

(١) كتاب (الجنس والزواج) للدكتور عبدالحميد عبدالعزيز، ص٦٣ وما بعدها.

الآداب) » .

وأخيراً « في الدول الغربية –وغير الغربية– ظهر فشل الحلول السابقة واعترافهم بأنهم هزموا في الحرب ضد البغاء » .

نعم وكما فشلت أمريكا في تحريم الخمر، فشلت في حظر البغاء، وستفشل كل الدول السائرة على نهجها في ذلك فشلاً مريعاً؛ والسبب في ذلك هو فقدان التقوى، فقدان الوازع الذاتي الذي يعمل كبوليس من داخل الإنسان نفسه وباقتناعه، ولكن التقوى نفسها تفشل إذا لم تشبع الحاجات الفطرية في الإنسان، فلا يمكننا من أن نمنع الذي لم يذق الطعام منذ ثلاثة أيام من السرقة من الأطعمة المغرية المعروضة في واجهات المتاجر، وهكذا بالنسبة إلى الفساد الخلقي، « إن حظر البغاء جعلها تتحول إلى تجارة تحت الأرض واتصلت اتصالاً وثيقاً بالخارجين على القانون » [1].

جـ - أهدافهم:

أما أهدافهم فهي أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بعد أن شاعت في مجتمعاتهم العفنة، والدليل أنهم لا يحاربون تعدد الزوجات فقط وإنما يحاربون الزواج، الشرعي أيضاً. ومن أهدافهم إضافة إلى ذلك:

١- نشر الجنس وإشاعته:

نشر الجنس حتى في الأسواق والشوارع، وجعل كل النساء مشاعات لكل الرجال، وهذا هو فعلاً ما هو مدون في دساتير الدول الشيوعية المنقرضة « إن فلسفة الثورة الشيوعية تقوم على أساس الشيوعية

---

(١) المصدر السابق. وأثبتت الأحداث أن فتح بيوت الدعارة كانت سبباً لنشر الفساد وتدني الأخلاق وانتشار الجريمة.

الجنسية التي تختفي معها الأسرة، ففي عقيدتهم أن نظام الأسرة نشأ بسبب الملكية الفردية، فإذا ما زالت الملكية الفردية، وظهرت الملكية الجماعية تتحرر المرأة من نظام الأسرة وتعود إلى طبيعتها وهي مشاعية الجنس »[1].

ويقول الشيخ محمد الغزالي عن حالة الرجل والمرأة في المجتمع الشيوعي: « إنما هما رجل وامرأة كذكر الحيوان وأنثاه ... فهي أنثى من إناث الدولة الشيوعية، وهو رجل من رجالها، وللدولة أبناؤهما وبناتهما جميعاً ينتسبون إليها وحدها انتساب ولد الحيوان إلى جنسه لا إلى أبيه وأمه »[2].

أما بالنسبة للمجتمعات الرأسمالية، فهذا هو الواقع فعلاً، وإن لم يدونوه في دساتيرها. « غالبية الأمريكيين اليوم يعتقدون أن العلاقة الجنسية مع شخص آخر غير الزوج أو الزوجة جائزة ومباحة، وليس هناك مخالفة لأعراف المجتمع وأخلاقه في ممارستها »[3]. وبلغ السيل الزبى حين أباح الأساقفة الزواج المثلي، أي أن يتزوج الرجل الرجل، وتتزوج المرأة المرأة، والخيانة الزوجية، فقد ورد عن الأسقف ريشارد هولواي رئيس الكنيسة الأنجليكانية في اسكوتلندا قوله: « إن الرجل ولد ليكون له العديد من العشيقات، وعلى الكنيسة أن تدرك أن الإنسان لم يخلق ليكون وفياً ومخلصاً طوال حياته -وأضاف- أنه لابد للكنيسة الأنجليكانية من قبول الخيانة الزوجية -ودعا الكنيسة- للصفح عن مرتكبي الخيانة الزوجية وعدم اعتبارها خطيئة »[4].

ولكي تكتمل الحلقة، وبصفتنا أناس علميين، نحب العلم ونقدر العلماء

---

(١) كتاب (مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية) لسالم البهنساوي، ص٢٣٦.

(٢) كتاب (الإسلام في وجه الزحف الأحمر) للشيخ محمد الغزالي، ص٥٨.

(٣) كتاب (حين اعترفت أمريكا بالحقيقة) جمس باترسون ديتز كيم. ص٦٩.

(٤) جريدة الشرق الأوسط. العدد ٦٠١٥، في ١٨/ ١٢/ ١٤١٥هـ – ١٨/ ٥/ ١٩٩٥م.

فقد أدلى العلم بدلوه في الموضوع، فهاهو الدكتور روبرت رايت يقول في كتابه الجديد (الحيوان الأخلاقي) : « إننا نولد مبرمجين للخيانة الزوجية ولا حول لنا ولا قوة في مكافحتها مهما تعددت الممنوعات الأخلاقية ووسائل منع الحمل » .
ويعترف رايت ويسوق ذلك كدليل على أن الإنسان مبرمج للخيانة والتعددية الزوجية فيقول: « إن المجتمع الغربي الذي يرفض تعدد الزوجات، استعاض عنها عملياً بالخيانة الزوجية وتعدد حالات الطلاق بحيث لم يعد أي زواج يصمد أكثر من ٥ سنوات » [1] وهذا يعني أن تعدد الزوجات الإسلامي يعصم من الخيانة الزوجية، ويقضي إلى حد كبير على مشكلة الطلاق التي تعاني منها المجتمعات الحديثة، وكذلك أثبت الدكتور رايت بأن تعدد الزوجات أمر فطري في الإنسان وهو ما أطلق عليه (البرمجة للخيانة والتعددية الزوجية) وبما أن ذلك أمر فطري في الإنسان (برمجة) فإنه إن لم يجد الطريق الشرعي لممارسة فطرته فإنه يلجأ إلى الطريق المعوج، ومع مرور الوقت تندرس معالم الطريق الشرعي وتنتشر الخيانة في كل مكان حتى تكون هي القاعدة، والصلاح استثناء.

وهذا هو السر في محاربة تعدد الزوجات في العالم الإسلامي، حيث يعلم الذين يقومون بذلك أنه لا غنى لبعض الرجال عن التعدد، ولا تستوعب النساء الزائدات إلا به، فإذا حظر تعدد الزوجات في دولة ما فلابد أن ينفتح باب تعدد الخليلات على مصراعيه. يقول الدكتور عبدالناصر العطار: « وكان طبيعياً في المجتمعات التي أخذت بنظام الزوجة الواحدة أن تكثر الملاهي الليلية، في الوقت الذي أسقطت فيه قوانين هذه المجتمعات العقاب على ارتكاب الرجل والمرأة جريمة الزنى، ولقد كان طبيعياً كذلك، أن يجرف التيار معه نساء متزوجات ورجالاً متزوجين، بحكم الإغراء والفتنة

---

(١) مجلة الوطن العربي، العدد ٩١٧، في ٢٥/ ٤/ ١٤١٥هـ - ٣٠/ ٩/ ١٩٩٤م.

أو بحكم ما اعتادوا عليه قبل الزواج، ولا نجد غرابة في أن يتحول مجتمع الزوجة الواحدة إلى مجتمع تتعدد فيه الخليلات والصديقات والعاشقات، ويزداد فيه الأولاد غير الشرعيين، وتنتشر فيه الأمراض »[1].

٢ـ التمتع بالنساء ومص نضارتهن:

الهدف الثاني من أهدافهم: إخراج النساء من حصونهن، والتمتع بهن جنسياً ومص نضارتهن، وحرمانهن من الزوج والبيت والأولاد، ثم إلقائهن في المزابل. وإذا كان ذلك يحصل لنجوم السينما والتلفزيون، وحسناوات هوليود فغيرهن أولى بذلك منهن، فبين الفينة والأخرى تخرج علينا الصحف بخبر انهيار المغنية الفلانية وانتحار النجمة المشهورة، وغيرهن وغيرهن ممن تطويهن الأيام بالمخدارت أو بالحبوب المنومة أو بالسم أو الرصاص، دون أن يتركن لهن أثراً أو ذكراً حسناً ودون أن يذرف الدموع عليهن أحد. يقول العلامة المدرسي: « والفتاة عندما تصبح قنية لشهوات الآخرين تفقد قيمتها وحتى الرجل الذي يبحث عن مثل تلك الفتاة، لا يحبها إلا لحظات ... وعندما تموت ليس هناك رجل واحد يذرف عليها نصف دمعة »[2].

ويقول الدكتور محسن بعد الحميد: « ولقد أصبح أسلوب المتاجرة بالمرأة أسلوباً عاماً في مظاهر الحياة كلها، والضحية في كل ذلك هي المرأة المسكينة التي استعبدها الرجل، وعصر جمالها في شبابها ثم تركها في الكهولة محطمة الأعصاب، فاقدة كل المعاني السامية عطشى لكل القيم الجميلة الحانية المشرقة في الحياة.

---

(١) كتاب (تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية)، مصدر سابق، ص٤٤.

(٢) كتاب (المرأة والدور المطلوب) للعلامة هادي المدرسي، ص٩٨.

ولقد بدأت حتى أفجر الممثلات في الغرب يشعرن بسقوط المرأة تحت قدمي الرجل ونفسيته الجشعة، فقد ذكرت الجرائد الفرنسية أن ممثلة الإغراء بريجيت باردو، بينما كانت تمثل مشهداً عارياً أمام الكاميرا، ثارت ثورة عارمة وصاحت في وجه المخرج : أيها الكلاب، أنتم الرجال، لا تريدون منا نحن النساء إلا أجسادنا، حتى تصبحوا من أصحاب الملايين على حسابنا. ثم انفجرت باكية.

كأن أنوثتها الحقيقية وفطرتها الصافية استيقظت فجأة في لحظات، لتقدم الدليل القاطع على المأساة الكبرى التي تعيش فيها المرأة الذليلة بيد الرجال في ظل هذه المدنية المادية التي تأخذ قيمها من إباحية الرومان واليونان القدماء، ونظريات الجنس الفرويدية اليهودية. وقبلها انتحرت الممثلة الأمريكية مارلين مونرو، وكتبت وصية تتضمن معنى ما قالته بعدها الممثلة الفرنسية السالفة الذكر »[1].

فماذا قالت مارلين مونرو التي وجدت ميتة في شقتها بكاليفورنيا عام ١٩٦٢ بعد أن تناولت كمية كبيرة من الحبوب المنومة، قالت في وصيتها الأخيرة، وهي تحذير صادق إلى كل فتاة: « احذري المجد، احذري كل من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم استطع أن أكون أماً إني امرأة أفضل البيت، الحياة العائلية الشرعية على كل شيء. إن سعادة المرأة، الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية. وتقول في النهاية: لقد ظلمني كل الناس، وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة، إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما وفي التمثيل، إن

---

(١) كتاب (المرأة في ظل الحضارة الغربية) للدكتور محسن عبدالحميد، ص١١.

نهايتهن إذا كن عاقلات كنهايتي »[1].

وفي مقابلة مع بطل أفلام رعاة البقر المشهور (هيك أوبريان) قال: « إن فتيات هوليود أكثر نساء العالم تعاسة، إنهن دمى بيد تجار هوليود، وما على الفتاة لكي تصل إلى الشهرة إلا أن تبيع نفسها وإرادتها وكرامتها، ثم لا تلبث أن تأتيها الضربة القاصمة بعد أن ينتهي دورها وتستنفذ مواهبها »[2].

والأمر ليس مقتصراً على الغرب بل تعداه إلى الشرق، وما ذلك إلا لأن الفطرة الإنسانية واحدة، ففي اليابان انتحرت المغنية المشهورة يوكي كاوا أوكادا (١٨ عاماً) حيث ألقت بنفسها من سطح مبنى مكون من سبعة طوابق، « وقد أصبحت الآنسة أوكادا مغنية محترفة عام ١٩٨٣ وحققت نجاحاً كبيراً بحيث باتت تظهر على شاشات التلفزيون العديدة في جميع أنحاء اليابان »[3].

وكما ذكرنا سابقاً ليس الحال مقتصراً على الفنانات وإنما هناك ملايين من النساء العاديات، مثل الآنسة ج. البالغة من العمر ٢٥ عاماً حيث روت قصتها قائلة[4]:

« كنت أتوق إلى زواج شرعي لأحظى ببيت وأولاد، لقد تعرفت على ثلاثة رجال الواحد تلو الآخر، وكلهم عمال مثلي توسمت فيهم الخير وحسن الطوية، فصارحت بالزواج كل واحد منهم على حدة لأنهم جميعاً ادعوا حبي، فما كان منهم إلا تأجيل وتسويف هذه القضية دائماً.

---

(١) كتاب (المرأة بين الفقه والقانون) للدكتور مصطفى السباعي، ص٢١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جريدة اليوم، العدد ٤٦٨١، في ٣٠/ ٧/ ١٤٠٦هـ - ٩/ ٤/ ١٩٨٦م.

(٤) نقلاً عن كتاب (الانحرافات الجنسية وأمراضها) للدكتور فايز الحاج بعصرف، ص٥٣ وما بعدها.

في ربيعي التاسع عشر استسلمت لعشيقي الأول، وعشت بقربه سنتين ثم حان موعد خدمته العسكرية فمضى واستبدل بي فتاة من المدينة التي تعسكر فيها فرقته، وبعد بضعة أشهر عاشرت رجلاً آخر، تركني قبل مرور العام مصرحاً لي بأنه لم يعود الاحتفاظ بخليلة أكثر من سنة.

أما الصديق الثالث فظل يعدني هو أيضاً كل شهر بالزواج، وإذا بي أحمل منه، فابتهجت لأني رجوت هذه المرة، وقد أصبح أباً، أن تدفعه المروءة إلى الاقتران بي، ولكن آمالي انهارت عندما صاح في وجهي: (كلا .. كلا، أنا لا أحب تعقيد الأمور. لابد أن تتخلصي من حملك) » . وأجهضت حملها بطريقة مأساوية مما استدعى استئصال الرحم والمبيضين، أما عشيقها فلقد هجرها إلى أرملة غنية تناهز الأربعين، وتختم قصتها قائلة « آه ما أنذل تصرفات هؤلاء الرجال الأنانيين الأوغاد، الذي يحسبون المرأة ألعوبة بين أيديهم، يتلهون بها على هواهم ثم ينبذونها كالقشرة بعد التلذذ بجسمها » .

وهل يختلف الرجل الشرقي الذي لا يؤمن با لله عن الرجل الغربي؟ المعروف أن الرجل الشرقي إذا تخلى عن ا لله يصبح أكثر أنانية ودناءة من الرجل الغربي، ويصدق فيهما قول الحق جلّ وعلا : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ ا للهَ رَبَّ العَالَمِينَ﴾[1].

---

(١) سور الحشر ١٦.

ماذا يراد بنا؟!

يقول لورنس بروان: « كان قادتنا يخوفننا بشعوب مختلفة، كانوا يخوفننا باليهود واليابان والخطر البلشفي، لكنه تبين لنا أن اليهود أصدقاء، والبلاشفة الشيوعيون حلفاء، أما اليابانيون فإن هناك دولاً ديمقراطية كثيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا الخطر الحقيقي علينا موجوداً في الإسلام »[1].

وجاء بعد سنوات قطب آخر هو دان كويل نائب الرئيس الأمريكي ليقول: « إن الغرب شهد ثلاثة تحديات في هذا القرن هي: الشيوعية والنازية والإسلام، وقد تم التخلص من الخطرين الأول والثاني وبقي الخطر الثالث »[2].

وقبل هذا وذاك قال العليم الخبير: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[3].

والآن جُلْ ببصرك أنى شئت، وسر في أي أرض أحببت، تجد نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، مستعدات لبيع أجسادهن بثمن بخس لمن هبّ ودبّ، وهاهو أحد الشعراء يرسم لنا صورة حية، يقول[4]:

---

(١) كتاب (عقيدة المسيح الدجال في الأديان) لسعيد أيوب. ص١٣٩.

(٢) كتاب (أمريكا والإسلام تصالح أم تصادم) للدكتور عبد القادر طاش، ص١٣.

(٣) سورة النساء ٨٩.

(٤) كتاب (قولي في المرأة) للشيخ مصطفى صبري.

زُمَـــرٌ مِـــنَ الحُســـنِ الرَّفِيـــع	تَطُـــوفُ فِي ضَـــنٍ وَنَبـــلِ
ضَـــاقَتْ بِهِـــنَّ الأرضُ	حَتَّى كُنْتُ أجلَـى مَـنْ مَحَلِّـي
وَمُتَـــاجِرَاتٌ بِـــالغَرَامِ	يمُـــرْنَ مِـــنْ خِجـــلٍ لِخِـــلٍّ
يَقْبِـــنَ آلافَ الرِّجَـــالِ	بِبَســـمةٍ أو بَعـــضِ دَلٍّ

تلك لغة الشعر ولغة التحقيقات تؤيد ذلك: « من أوربا إلى جبال الهملايا، ومن طوكيو إلى تيجوسيجاليا نشأت تجارة في الجنس ... فالنساء والأطفال الفقراء يعاملون كسلع تباع وتشرى في الشوارع، وكمستعمات تقايض ويساوم عليها ويجري تهريبها وبيعها، أما لدفع غائلة الجوع أو كوسيلة للربح السريع، وأرواح الناس لا حساب لها في هذه المعادلة، وإنما الأجساد وحدها هي المهمة.

وقلما تجد ركناً من أركان الأرض يخلو من تجارة الجنس السريعة الانتشار ... وأثناء مؤتمر عقدته المنظمات النسائية لجنوب شرقي آسيا في عام ١٩٩١ ذكر أن ما يقدر بثلاثين مليون امرأة تم بيعهن على النطاق العالمي منذ أواسط السبعينات.

ويتزايد القلق العام من تجارة الجنس، وقد أخذت تتشكل حركة مناهضة لتجارة الجنس ... فقد نوقش الموضوع في الآونة الأخيرة في برلمانات كل من السويد والدنمارك وسويسرا وبريطانيا وتايلند وقبرص. وقامت ألمانيا في العام ١٩٩٢ بتشديد القوانين المضادة لتجارة الجنس، بينما تستعد بلجيكا لاتخاذ إجراءات مماثلة »[(1)].

وتقول صحيفة أخرى: « الصداقة بين الرجل والمرأة تحولت إلى علاقة غير شرعية وغير أخلاقية بنسبة ٩٥٪ ، نسبة الخيانة الزوجية عند المرأة

---

(١) مجلة (المجلة) العدد ٧٠٠، في ٢١/ ١/ ١٤١٤هـ - ١١/ ٧/ ١٩٩٣م.

المتحررة بعد الزواج بلغت ٢٢٪ ، أما نسبة الخيانة الزوجية عند المرأة العادية فبلغت ٢٪ » [1].

وتقول صحيفة ثالثة: « صيحة ترتفع في العالم كله وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .. الشباب غارقون في الجنس والمخدرات والعنف، ومجالسهم عبارة عن حلقات متصلة من الإباحية والشذوذ والمخدرات، الآباء يقفون غير مصدقين لما يحدث لأبنائهم وأكثرهم ينتابه الخوف من المستقبل، فيلحون في طلب العودة إلى الرقابة والقيود في البيت والشارع والمدرسة » [2].

هذا من جهة ومن جهة أخرى ترى العجب العجاب حيث أدركوا أهمية دور المرأة في التاريخ الإنساني، فسخروا أكبر هيئة عالمية في القرن العشرين لنشر الانحلال والرذيلة في شتى أنحاء العالم، مستغلين أنوثة المرأة وهيام الرجل الفطري بها، وشنوا حرباً شعواء على الإسلام وعلى دستور الإسلام وعلى نبي الإسلام، مع العلم أن قوانين الإسلام هي المنقذ لهم إذا كانوا جادين فيما يدعون.

فابتداءً من عام ١٩٧٥ تبنت الأمم المتحدة باعتبارها الهيئة الأكثر تأثيراً، ولكونها أداة من أدوات تطبيق الثقافة الغربية في العالم، تبنت قضية المرأة.

ففي عام ١٩٧٥ انعقد المؤتمر الدولي الأول للمرأة في المكسيك وأسفر عن التزام الأمم في تبني قضايا المرأة، وفي عام ١٩٨٠ انعقد المؤتمر الثاني للمرأة في كوبنهاجن بالدنمارك لمناقشة ما تم إنجازه مع التركيز على التعليم والعمل، وفي عام ١٩٨٥ انعقد المؤتمر الدولي الثالث للمرأة في

---

(١) جريدة (الهدف) العدد ١٤٢٧، في ١٩/ ٥/ ١٤١٦هـ - ١٤/ ١٠/ ١٩٩٥م.
(٢) الشرق الأوسط، عدد ٦٠٦١، في ٥/ ٢/ ١٤١٦هـ - ٣/ ٧/ ١٩٩٥م.

نيروبي بكينيا ووضع ما سمي استراتيجية نيروبي التي تقوم على ثلاثة محاور هي: المساواة، التنمية، السلام، وانعقد المؤتمر الدولي الرابع للأمم المتحدة للمرأة في العاصمة الصينية بكين عام ١٩٩٥، وحضرته ما يقارب أربعين ألف امرأة وهو بذلك أكبر حشد نسائي في التاريخ، وكان شعار المؤتمر هذه المرة: المساواة، الحرية، السلام.

المساواة: حتى في الحمل والرضاعة.

الحرية، إلى درجة التسافد على قارعة الطريق.

السلام: إذا حدث ذلك فأنى للإنسانية السلام.

ومؤتمرات الأمم المتحدة ليست كمؤتمرات الأمة الممزقة رغم دعوة ربها لها للتمسك بحبله، وتحذيره لها من التفرق ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾[1]. فقرارات الأولى تنفذ على أرض الواقع قبل أن يجف حبرها، وقرارات الثانية تظل حبراً على ورق.

فمنذ المؤتمر الدولي الأول للمرأة عام ١٩٧٥ عقدت عشرات المؤتمرات الجانبية، وأقيمت عشرات الندوات، وطرحت مئات البحوث والدراسات، أهمها مؤتمر الأمم المتحدة لعام ١٩٧٩ لإزالة جميع الفوارق بين الرجل والمرأة. وقد وقع على تلك الاتفاقية إلى الآن ١٣٣ دولة بما فيها دول إسلامية، وتقوم لجنة من الخبراء بالتحقق من مدى تطبيق الدول لما جاء فيها. ومن هذا القبيل المؤتمر الذي عقد في جاكرتا عام ١٩٩٠ وجاء في تقييم الأمم المتحدة « أن المجتمع العالمي أصبح أكثر إدراكاً للمسائل المؤثرة على المرأة »[2].

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) مجلة المجتمع، العدد ١١٤٧، في ٢٥/ ٤٣/ ١٩٩٥م.

وفي الآونة الأخيرة ازدادت المؤتمرات المتعلقة بالمرأة كماً ونوعاً، فمن مؤتمر عمان في ٥/ ١١/ ١٩٩٤ إلى المؤتمر الدولي للسكان في القاهرة في ٥/ ١٣/ ١٩٩٥ الذي وصفته مجلة المجتمع عدد ١١١٢ بأنه « مؤامرة خطيرة على العالم الإسلامي » ، إلى مؤتمر القمة في كوبنهاجن « التي صدرت عنها في ١٢/ ٣/ ١٩٩٥ (برنامج العمل والإعلان ضد الفقر) والتي حاولت خلالها الوفود الغربية الربط بين حل مشاكل العالم الثالث وبين إرغامه على تقرير جريمة الإجهاض وإرساء مذهب الإباحية وتعليم الجنس، ذلك رغم أن قمة كوبنهاجن عقدت تحت عنوان (التنمية الاجتماعية) » [1]. وأخيراً وقبل الرقي إلى مؤتمر بكين كانت هناك دورات التحضير لمؤتمر بكين، عقد آخرها في الفترة من ١٥/ ٣ - ٢/ ٤/ ١٩٩٥ في مدينة نيويورك.

إن المتتبِّع لتلك المؤتمرات، والدارس لأهدافها دراسة متأنية يلاحظ أن لها هدفين:

الأول: نشر الإباحية في جميع أنحاء العالم.

الثاني: تحديد النسل في العالم الثالث.

وإذا علمنا أن الفساد منشر انتشاراً واسعاً في جميع أنحاء العالم ماعدا حفنة من دول العالم الإسلامي التي لا تزال لديها بقية من إيمان، علمنا أن المقصود الأول بتلك المؤتمرات ذلك الجزء من العالم الإسلامي الذي لا يزال نبراساً للعفة والشرف والفضيلة.

ومحاولة نشر الدعارة بدأت مع بداية الاستعمار الحديث « ففي سنة ١٩٢٠م نزل الجنرال غورو لاحتلال سوريا ولبنان، وكان مع البواخر المسلحة والحاملة للذخيرة، باخرة أخرى تحمل مومسات ولما سئل غورو: ولم

---

(١) المصدر السابق.

قدوم هؤلاء وأنت قادم لاحتلال عسكري؟

أجاب: إن القوة وأثرها يزول، أما أثر هؤلاء فلن يزول »[1].

وفي عام ١٩٨٦ أي بعد عام واحد من انعقاد المؤتمر الدولي الثالث للمرأة في نيروبي « قدمت الإدارة الأمريكية معونة طبية مخصصة لمستشفيات طب الأزهر قدرها ١٣ مليون دولار، وذلك تنفيذاً لبرنامج تحديد النسل -والمعونة- عبارة عن أدوية وأقراص لمنع الحمل، ولوالب طبية وغير ذلك من وسائل منع الحمل »[2].

وكلما مرت السنوات، واقتربنا من بؤرة الحدث، كلما اتضحت الحقائق بصورة لا لبس فيها ولا غموض، ففي عام ١٩٧٤ أصدر مجلس الأمن القومي الأمريكي مذكرة باسم (إن. إس. إس. إم ٢٠٠٠) ولم يكشف النقاب عنها حتى عام ١٩٩٠، وفي تلك المذكرة اعتبر هنري كيسنجر الزيادة السكانية الإسلامية تهديداً للأمن القومي الأمريكي، وأوصى بضرورة التركيز بشكل خاص على تخفيض النمو السكاني في سبع دول إسلامية على رأسها مصر[3]. وتحدد الوثيقة هدف المساعدة على خفض نمو السكان بالتركيز على البلدان النامية الأكبر والأسرع نمواً، وحيث توجد مصلحة خاصة سياسية واستراتيجية للولايات المتحدة »[4].

ولا يزال المكر السيئ مستمراً حتى يزحزحونا عن ديننا إن استطاعوا ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ

---

(١) كتاب (عندما يحكم الطغاة) تأليف المستشار علي جريشة.

(٢) ملحق جريدة الاتحاد، عدد ١٨٢، في ١/ ٩/ ١٤٠٦هـ - ٩/ ٥/ ١٩٨٦م، ص٦٣.

(٣) جريدة الاعتصام، عدد ٢٩، في ١٠/ ٤/ ١٤١٥هـ - ١٥/ ٩م ١٩٩٤م.

(٤) مجلة العربي، عدد رجب ١٤١٥ - يناير ١٩٩٥.

﴿أَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحقُ﴾[1]. يقول عادل حسين أحد قادة حزب العمل المصري: « إننا أمام مخطط شيطاني له أفق زمني محدد ينتهي عام ٢٠٢٠ وتعمل في إدارته وتنفيذه مئات المؤسسات، وتعد تمويله بلايين الدولارات، وكلها مؤسسات غربية معروفة وهي تخطط لتقويض ديننا واستضعافنا لصالح العنصر الأبيض »[2].

ونظراً للأهمية العظمى التي اكتسبتها الأمم المتحدة بعد أن انظمت إليها معظم دول العالم ولكونها أصبحت وسيلة من وسائل التشريع العالمية، فقد تستر وراءها الغرب لاستصدار ما يشاء من تشريعات، فقد اعترف أكثر من مفكر غربي بذلك، فهاهو البروفسور صمويل هنتنجتون يقول: « فالقرارات التي تتخذ في مجلس الأمن الدولي أو صندوق النقد الدولي وتعكس مصالح الغرب تقدم إلى العالم باعتبارها تعكس رغبات المجتمع الدولي. بل إن عبارة (المجتمع الدولي) نفسها أصبحت تعبيراً ملطفاً حل محل تعبير (العالم الحر) يستهدف إسباغ الشرعية الدولية على أعمال تعكس مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى »[3]. ويوصي هنتنجتون في نهاية نظريته التي نشرها في مجلة فورن أفيرز صيف عام ١٩٩٣ بعنوان (صدام الحضارات) قائلاً: « وأن تدعم -القوى الغربية- في داخل الحضارات الأخرى جماعات متعاطفة مع القيم والمصالح الغربية، وأن تعزز المؤسسات الدولية التي تعكس المصالح والقيم الغربية ويشجع انخراط الدول غير الغربية في هذه المؤسسات »[4].

---

(١) سورة البقرة، ١٠٩.

(٢) جريدة الاعتصام، في ١٠/ ٤/ ١٤١٥هـ - ١٥/ ٦٩/ ١٩٩٤م.

(٣) جريدة الشرق الأوسط، في ٢١/ ٨/ ١٤١٥هـ - ٢٢/ ١/ ١٩٩٥م.

(٤) جريدة الشرق الأوسط، في ٢٢/ ٨/ ١٤١٥هـ - ٢٣/ ١/ ١٩٩٥م.

وفي الآونة الأخيرة صدر كتاب بعنوان (دول مغمورة: قراءة في النظام العالمي الجديد) وجاء في تعليق جريدة الشرق الأوسط عـدد ٦١٣٧ في ١٧/ ٩/ ١٩٩٥ قولها: « يذكر الكتاب بأن النظام العالمي الجديد طلع علينا بحقيقة أخرى، وهي أن منظمة الأمم المتحدة أمست الامتداد السياسي والدبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية. تطبق رغبات واشنطن وقراراتها وتضفي عليها الصبغة الدولية بعدما تتم المصادقة عليها -أحب من أحب وكره من كره» .

وهكذا وصل بنا الحال إلى مؤتمر القاهرة ١٩٩٤ ورغم أن عنوانه كان (المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) إلا أن مواضيعه تركزت على الإباحية وإعطاء الحرية الجنسية، والإصرار على إباحة الإجهاض بلا حدود، لا حرصاً على حياة الأم، ولا رغبة في التنمية، وإنما ليكون الملجأ الأخير لمن يمارسون الزنى ويودون التخلص من الدليل الذي يفضحهم مدى الحياة. وهذا ما دعا مجلة المجتمع أن تتساءل عن المؤتمر هل هو دولي لمناقشة قضايا السكان والتنمية؟! أم هو مؤامرة صهيونية علمانية دولية على الأخلاق والأسرة؟ أم هو (إرهاب حضاري) ينفذه الغرب على العالم الإسلامي للانتقام من حضارته وتفوقه البشري؟ »[1].

وبات الهدف واضحاً في مؤتمر بكين ١٩٩٥، وهو إذا أصبحت الكرة الأرضية قرية صغيرة فلماذا لا نجعلها بيت دعارة كبير؟ وليس ذلك بمستغرب إذا كان الإنسان هو الذي يشرع للإنسان. يقول المفكر فهمي هويدي: « الشق الاجتماعي في وثيقة بكين يصدم أسوياء البشر عامة، وأهل الإيمان منهم بوجه أخص، ويستغرب المرء فيه ذلك الإسراف المدهش في التعامل مع قضية الجنس، حيث ذكرت كلمة الجنس أكثر من مائة مرة،

---

(١) مجلة المجتمع، عدد ١١١٣، في ١٥/ ٣/ ١٤١٥هـ - ٢٣/ ٨/ ١٩٩٤م.

وأقحمت في مختلف ميادين الحياة الإنسانية، العمل والتعليم والصحة وحقوق الإنسان والتشريع ..إلخ.

باب الممارسات الجنسية مفتوح على مصراعيه بشرط واحد هو مراعاة الأمان، ونفهم من الفقرة ٩٩ أن الممارسة الجنسية المأمونة هي التي لا تودي للإصابة بالإيدز، ترتيباً على ذلك فإن حمل المراهقات مفهوم ومقبول، أما الزواج المبكر (الذي يحدث أحياناً في مجتمعاتنا المتخلفة!) فهو محل نقد متكرر من الوثيقة. الفقرة ١١٣ تنتقد اغتصاب الزوجة -من قبل الزوج- والمادة ١٢٣ تدين فقط الإكراه على البغاء، أما إذا تم الزنى بالتراضي فلا غضاضة ولا بأس.

وتقول الباحثة الأمريكية ديل أوليري إن جماعات التطرف النسوي تطالب بحق النساء في جميع الأعمار في أن يقررن بأنفسهن كل ما يتعلق بحياتهن الجنسية، بما في ذلك حق إقامة علاقات جنسية مع الرجال دون حاجة إلى زواج » [1]. وجاء في انتقاد الفاتيكان لوثيقة بكين قول جواكان نافارو عضو وفد الفاتيكان قوله: « إنها تتجاهل بوعي تقريباً أهمية الأسرة الجوهرية، مشددة بخلاف ذلك على حقوق الإنجاب والحرية الجنسية والإجهاض. ويعرب -الفاتيكان- عن أسفه لأن الوثيقة تنطوي على خطأ فادح خطير هو السعي إلى حرمان الوالدين من مسئولياتهم تجاه برامج وخدمات عامة تتعلق بالأمور الجنسية وبالإجهاض » [2].

إذاً فالهدف الرئيسي لمؤتمر بكين هو نشر الدعارة في كل مكان، وهذا ما أكدته مجلة المجتمع حيث كان موضوع غلاف العدد ١١٦١، في ٨/ ٨/

---

(١) جريدة الشرق القطرية، في ٣/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٢٩/ ٨/ ١٩٩٥م.

(٢) مجلة الأسبوع العربي، في ٩/ ٤/ ١٤١٦هـ - ٤/ ٩/ ١٩٩٥م.

١٩٩٥ هو (وثيقة مؤتمر المرأة في بكين دعوة صريحة للإباحية والشذوذ) وجاء فيه « إن مؤتمر بكين لن يزيد عن كونه حرباً خبيثة ضد المرأة المسلمة، لأنه يستهدف بكل فجاجة خلعها خلعاً من بيئتها المسلمة، وقيمها وضوابط دينها ليلقي بها في مستنقع الانحلال الأخلاقي، وإباحية وشذوذ الغرب، تحت شعارات خادعة وبراقة عن: (المساواة في الحقوق مع الرجل) و (ضمان صحة الأسرة ورفاهيتها) و (الحق في الوقاية الصحية) و (الحصول على نفس حق الرجل في المصادقة والأسفار).

وتضيف المجلة قائلة: إن هناك إصراراً من الغرب على جرجرة العالم كله لينصهر في بوتقة نسق حياته وعاداته وتقاليده، بل وأسلوب تفكيره .. والخطوة الرئيسية التي يسعى الغرب لتحقيقها في هذا الصدد هي دمج المرأة في العالم كله في نسق الحياة الغربية. وإن كانت المحاولات تجري مع المرأة بصفة عامة، فإنها تجري بتركيز دقيق مع المرأة المسلمة بصفة خاصة، لأن التجربة تؤكد أن عملية تطويع المرأة المسلمة ليست من السهولة بمكان » [١].

إن هدف شياطين الجن والإنس النهائي هو تحويل الجنس البشري إلى قطعان من الماشية، تأتمر بأمرهم وتنتهي بنهيهم. يقول المفكر زين العابدين الركابي تعليقاً على صدور طبعة جديدة محرفة من الإنجيل: « إننا في عالم تضربه الجريمة المنظمة والمنفلتة، وتكتسحه الأوبئة الناتجة عن فوضى الجنس، وتفرقه موجة الإعلام التي ترفع مد الجريمة وفوضى الجنس، وهذا كله على بشاعته وفداحته لم يكفهم، بل طفقوا يهدمون ما بقي من بقايا الدين .. ولما كانت الأخلاق مرتبطة بالتدين فإن الاستهزاء بالدين يعني الاستهزاء بالأخلاق ذاتها وهذا –فيما يظهر– مطلب مقصود.

---

(١) مجلة المجتمع، العدد ١١٦١، في ١١/ ٣/ ١٤١٦هـ – ٨/ ٨/ ١٩٩٥م.

إن هناك دوائر عالمية شريرة تجاوزت مهمة نشر الفساد إلى مهمة تحطيم (المعايير) الثابتة نفسها، وهذا هو الدمار الحقيقي، فالناس ينحرفون، وحين يشقيهم الانحراف يعودون إلى الطريق الصحيح فيجدون المعيار الثابت للاعتقاد والعمل، لكن الشريرين يريدون أن يجردوا الناس حتى من الأمل في هذه العودة »[1].

نعم وقد اتخذت تلك الدوائر العالمية الشريرة من هيئة الأمم المتحدة إلهاً من دون الله، لتوحي إلى البشر ما تشاء من قوانين. وإذا كانت الأديان السماوية لا تجبر أحداً على اعتناقها ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2]، فإن الويل كل الويل لمن لا يؤمن بقرارات الأمم المتحدة.

فقد ذكرت إحدى الصحف أن « دولة غربية كبرى طلبت من دولة عربية إيضاحات عن موقفها الرافض للمشاركة في مؤتمر عالمي يعقد هذه الأيام في دولة عربية –وقالت– إن مثل هذه المواقف تسيء العلاقات بين البلدين »[3]. وذكرت صحيفة ثانية « أن الغرب يضع الأهداف التي يريد أن يحققها مربوطة بما يحتاجه العالم الثالث (معظمه دول إسلامية) من مساعدات أو تخفيف ديون »[4]. وقالت ثالثة « والأكيد أنه –أي مؤتمر بكين– نجح في

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦١٣٦. وفي العدد ٦١٦٨ كتب رضا محمد يقول: « فالملاحظ أن السياسة الاستعمارية المعاصرة بعد الحرب الباردة أخذت شكل المؤتمرات لفرض هيمنتها الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. دليلنا على ذلك مؤتمر بكين الذي روج له تحت شعار حقوق المرأة بينما كان يستهدف فساد المرأة لإفساد الأمة، باعتبار المرأة هي النواة الأساسية في كل تركيبة اجتماعية، وسبقه مؤتمر السكان في القاهرة » .

(٢) سورة البقرة ٢٥٦.

(٣) مجلة الإصلاح، في ٢/ ٤/ ١٤١٥هـ – ٨/ ٩/ ١٩٩٤. والمقصود مؤتمر السكان بالقاهرة.

(٤) مجلة مجتمع، في ١١/ ٣/ ١٤١٦هـ – ٨/ ٨/ ١٩٩٥م.

استحداث شبكة عمل نسائية عالمية تتصل ببعضها، وتناقش وتبحث وتراقب أعمال المؤتمر الحكومي ومقرراته وتطبيق الحكومات لها، هذا ما أكدته امرأة من بنغلاديش ومقاومة خارج إيران »[1].

وتحت عنوان (كتيبة الإرهاب) كتبت صحيفة رابعة تقول « بدأت المنظمات الدولية -التي تديرها الدول الغربية- ممارسة دورها المعهود في الإغراءات والضغوط لتنفيذ توصيات مؤتمر بكين. فقد أصدر البنك الدولي تقريراً قال فيه: لم يعد من المسموح به اليوم ألا توظف الحكومات أموالاً من أجل النهوض بالمرأة »[2]. وقبل ذلك كانت الأمم المتحدة قد قررت إنشاء هيئة لمتابعة تنفيذ قرارات مؤتمر السكان بالقاهرة « انطلاقاً من التزام أخلاقي تجاه الدول النامية! وتعهدت أمريكا بدفع ستة ملايين دولار، بينما تعهدت اليابان بدفع ثلاثة ملايين من أصل ١٧ مليوناً »[3].

إن الوضع جد خطير، فنحن بين خيارين أحلاهما مر، فإما أن نتمسك بديننا رغم الصعوبات والمشاق، أو نتركه إلى دين الأمم المتحدة، التي لن تغني عنا من الله شيئاً حيث سيحل علينا غضب الله، ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[4].

وكل الدلائل تشير إلى أننا سوف نعود إلى ديننا، ونتحمل في سبيل ذلك ما لا يطاق، كما اتضح من مؤتمر القاهرة ومؤتمر بكين، وبذلك نكون نحن الموعودون ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(١) جريدة الحياة في ٦/ ٦/ ١٤١٦هـ ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٥م.

(٢) مجلة الأسرة، عدد جمادى الأولى ١٤١٦ - اكتوبر ١٩٩٥م.

(٣) جريدة الحياة، في ٧/ ٤/ ١٤١٥هـ - ١٢/ ٩م ١٩٩٤م.

(٤) سورة طه ٨١.

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُم الَّذِي ارْتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً، يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[1].

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

٢٨/٨/١٤١٦هـ

١٩/١/١٩٩٦م

---

(١) سورة النور ٥٥.

المصادر

١ـ القرآن الكريم

٢ـ مختصر تفسير الإمام الطبري، دار الشروق، القاهرة.

٣ـ مفتاح كنوز السنة، د. ا. ي فنسنك، تعريب محمد عبدالباقي، دار القلم،بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥-١٩٨٥.

٤ـ نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب، شرح محمد عبده، دار المعرفة، بيروت.

٥ـ الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠-١٩٨٠.

٦ـ المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٤-١٩٨٤.

٧ـ رقصة الموت، د. محمد بن علي الهرفي، دار الإصلاح، الدمام.

٨ـ إلى كل فتاة تؤمن بالله، محمد سعيد البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٤-١٩٨٤.

٩ـ شبهات حول الإسلام والرد عليها، الشيخ محمد متولي الشعراوي، دار القلم، بيروت.

١٠ـ الإنسان ذلك المجهول، آلكسيس كاريل، تعريب شفيق فريد، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠-١٩٨٠.

١١ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمد العقاد، القاهرة.

١٢ـ حقوق الزوجين، الشيخ أبو الأعلى المودودي، تعريب أحمد إدريس، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٩-١٩٧٩.

١٣ـ قضايا المرأة في سورة النساء، د. محمد يوسف عبد، دار الدعوة،

الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥.
١٤- أين محاضن الجيل المسلم، د. يوسف العظم.
١٥- لكي لا تتحطم حصون الإسلام من الداخل، حسين محمد يوسف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩-١٩٧٩.
١٦- المرأة المسلمة في وجه التحديات التحديات، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.
١٧- الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، محمد عطية خميس، دار الانصار، القاهرة.
١٨- زعماء الإسلام، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠.
١٩- قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب، الشيخ مصطفى صبري، دار الرائد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢-١٩٨٢.
٢٠- تأملات في المرأة والمجتمع، محمد المجذوب، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢١- المرأة كما أرادها الله، الشيخ محمد متولي الشعراوي، منشورات مكتبة القرآن، القاهرة.
٢٢- تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، د. عبدالناصر توفيق، دار الشروق، جدة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧-١٩٧٧.
٢٣- المسلمة العصرية، عبدالمتعال الجبري، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١-١٩٨١.
٢٤- الحرب العالمية الثانية، رمضان لاوند، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٨-١٩٨٨.
٢٥- الزواج الإسلامي أمام التحديات، أحمد علي ضناوي، المكتب

الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠-١٩٨٠.
٢٦- أرقام في جسم الإنسان، محمد المحب، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠-١٩٩٠.
٢٧- رحلة الإيمان في جسم الإنسان، حامد أحمد حامد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩١.
٢٨- بيولوجيا الإنسان، ميلفيا مادر.
٢٩- وليس الذكر كالأنثى، محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة.
٣٠- زوجة واحدة لا تكفي، عماد الدين حسين، منشورات مكتبة القرآن، القاهرة.
٣١- ترويض المرأة، د. سامي محمود، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.
٣٢- العلاج النفسي الحديث قوة للإنسان ، د. عبدالستار إبراهيم، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٧، الكويت، ربيع ثاني ١٤٠٠-مارس ١٩٨٠.
٣٣- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، كتاب المختار، القاهرة.
٣٤- في محكمة التاريخ، د. عبدالودود شلبي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧-١٩٨٧.
٣٥- الغريزة الجنسية ومشكلاتها، عبدالمعز خطاب، دار الاعتصام، القاهرة.
٣٦- مسلمات خالدات، محمد علي قطب، منشورات المكتبة العصرية، القاهرة.
٣٧- الرجل والمرأة، الشيخ جواد الخالصي، مركز الدراسات الإنسانية، بيروت.
٣٨- محمد الخليفة الطبيعي للمسيح، د. أحمد ديدات، المختار الإسلامي، القاهرة.

٣٩- الانحرافات الجنسية وأمراضها، د. فائز محمد علي الحاج، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣-١٩٨٣.
٤٠- الجنس والزواج، د. عبدالحميد عبدالعزيز، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤١- مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، سالم البهنساوي، دار القلم، الكويت، ١٤٠١-١٩٨١.
٤٢- الإسلام في الزحف الأحمر، الشيخ محمد الغزالي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٦-١٩٦٦.
٤٣- حين اعترفت أمريكا بالحقيقة، جيمس باترسون وبيتر كيم، تعريب محمد البشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤-١٩٩٤.
٤٤- المرأة والدور المطلوب، العلامة هادي المدرسي، دار الكلمة الطيبة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣-١٩٩٣.
٤٥- المرأة في ظل الحضارة الغربية، د. محسن عبدالحميد، مكتبة القدس، بيروت، ١٣٩٧-١٩٧٧.
٤٦- عقيدة المسيح الدجال في الأديان، سعيد أيوب، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩١.
٤٧- أمريكا والإسلام تصالح أم تصادم، د. عبد القادر طاش، كتاب المسلمون، جدة، ١٤١٤-١٩٩٣.
٤٨- عندما يحكم الطغاة، المستشار علي جريشة، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩-١٩٧٩.
٤٩- صحوة في عالم المرأة، د. عبدالحي الفرماوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
٥٠- الغرب يراجع عن التعليم المختلط، بفرلي شو، ترجمة وجيه عبدالرحمن، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

أعداد مختلفة من الصحف والمجلات الاتية:

أ/ الصحف:

٥١ـ الاتحاد الإماراتية
٥٢ـ الوطن الكويتية
٥٣ـ اليوم السعودية
٥٤ـ الشرق الأوسط اللندنية
٥٥ـ الشرق القطرية
٥٦ـ الأنباء الكويتية
٥٧ـ الهدف الكويتية
٥٨ـ الاعتصام

ب/ المجلات:

٥٩ـ اليمامة السعودية
٦٠ـ الشرق السعودية
٦١ـ النهضة الكويتية
٦٢ـ زهرة الخليج الإماراتية
٦٣ـ سيدتي اللندنية
٦٤ـ حواء المصرية
٦٥ـ كل الأسرة الإماراتية
٦٦ـ الوطن العربي الباريسية
٦٧ـ الأسرة السعودية
٦٨ـ المجلة السعودية

٦٩- العربي الكويتية

٧٠- الأسبوع العربي البيروتية

٧١- الإصلاح الإماراتية

٧٢- الجيل الباريسية

٧٣- الهلال المصرية.

المحتويات